كبرياء الالم

☆

ان جراح البطولة لا تقذف في النفوس ضعف الالم ، بل كبرياءه . ولا تلفها بذلة التجربة ، ولكن بتجديدها في عزيمة تضاعفت حقيقتها ، وتعددت في كل اشياء الحس . فان الالم مع الايمان ، ظهور لذاتية الوجود بقوتهـا . كما يكون الالم مع الجحود ، ظهوراً لذاتية العدم بتلاشيها .

وان الالم في غايته تحدٍ ، وتحدي القوة ، مبالغة القوة في اظهار طبيعتها ومعناها . وتحدي الضعف ، مبالغة الضعف في اظهار طبيعته ومعناه .

وتزأر القوة اذا اصيبت ، زئير القنبلة اذا انفجرت ، وهي تعبر عن ان في بعض الكسر ، ما هو انطلاق لاعمق القوات الكامنة . وترعد ارعاد الاسد اذا خانه الموقف ، وهو يعبر عن انه الاسد بطبيعته المخزونة ، التي شاء الموقف ان يطلقها به .

وتلك القوات وهذه الطبيعة ، لا تنطلقان الا بكسر او جرح ، وهما تحسان به احساس المادة الملتهبة بالنار ، لا تميل بها الى ضمور العدم بل الى كبرياء الوجود ، ثم لا تدفعها الى استسلام كسيف وصموت طامس ، بل الى اعتداد رهيب ورد مصم .. ويكون الكسر او الجرح ، قد اضاف الى معناها معنى جديداً ، او سمح لكل طبائعها بالظهور ...

وكذلك يكون شعور القوي بالالم ، اغراء لقوته على ان تنطلق وتنقض متفجرة ظامئة . كما يكون شعور الضعيف بالالم ، اغراء لضعفه على ان يبرز ويبدو ، في اتعس اشكال العبوديات الذليلة مهانة وخوراً ...

والايمان قوة تصنع البطولات المستميتة ، ويكون ابتداء احساسها بالالم ، ابتداء شموخها الذاهب في السما. والمتحدب مع الآفاق . والدماء الصبيبة ، لا تلهم الابطال روعة الدم الراهبة ، بل رجفة الدم النابضة .

والالم للايمان كالحركة للحياة ، يجريان الحرارة فيها ، وكما تذهب الحياة بدون الحركة في ضمور ، يحور الايمان بدون الالم في تلاشٍ ، ويأخذه همود سحيق . والايمان قوة ، ولكن سرعان ما تتغلل حرارته في اعماق النفس ، اذا لم يركزها الالم ويقربها من عملية الحياة .

وان حركات التاريخ برمته تقع بين جواذب الالم ودوافعه ، بل خطى النشوء للكل الاجتماعي تنتظم بين هذا الدفع وهذا الجذب . وكانت اكبر الحركات لا تزيد في جوهرها ، عن انها ايمان بفكرة والم في الايمان ، وابداً لا يشتد الايمان ويخطو صعداً ، الا اذا قدح الالم زناده وطاير بالشرر ...

وكان الفرق بين الشاعر بمعناه وبين الغائض فيه معناه ، كالفرق بين من يسقط في المعركة ، فينسى الالم ويشتد في احساس انه لم يزل حياً وسيعيد التجربة ، او يطمئن في احساس انه حي بحياة المبدأ الذي قضى دونه . وبين من يسقط في المعركة ، فينسى الحياة والقوة ، ويهون في احساس جراحاته وكسوره ، او ييأس في احساس انه مضغة بين فكي العدم الصامت . فأولهما يطرد ضعفاً بقوة ، وثانيهما يضيف ضعفاً الى ضعف ...

[...]

من كتاب لم ينشر بعد

رسائل لبنانية

بقلم الدكتور طه حسين بك

☆

يا لها ليلة ايها الصديق العزيز قضيتها في هذا القطار ، منكرة شوهاء ثقيلة على النفس والجسم معاً . لقد كانوا يزعمون لنا ان هذا القطار بديع من جميع انحائه ، لا نعرف ولا ينتظر ان نعرف مثله في مصر : لين السير ، سريع كأنه يمشي في الهواء ، موطأ دمث لا يجد صاحبه مشقة ولا عنـاء ، ان شاء قضى الليلة جالساً جلسة المطمئن الوادع ، وان شاء آوى الى سرير وثير فنام لا يشعر بشيء حتى توقظه الشمس المشرقة في فلسطين . ذلك الى خدم فيهم ما شئت من رقة الشيمة وحسن الشمائل . وكانوا يزعمون لنا غير هذا محاسن كثيرة بهذا القطار الذي يصل بين مصر وفلسطين حتى حببوه الينا واغرونا بالسفر الى فلسطين ولبنـان لا لشيء الا لنجد هذا النعيم الذي لم نتعود ان نجده حين نصعد في مصر الى اسوان او نهبط فيها الى الاسكندرية . ولست اخفي عليك ان هذا الثناء الكثير الذي سمعته من قوم يتفاوتون فيما بينهم طبقة وذكاء قد كان له اثر غير قليل في هذا القرار الذي اتخذته واكرهت عليه من كان يرافقني في هذه الرحلة ، وهو العدول عن السفينة الى القطار . وكم كنت امني نفسي وامني رفاقي والقطار المصري يسير بنـا نحو القنطرة ، وكم كان استخذائي عظيما واستحيائي لا حد له حين بلغنا القنطرة والتمسنا اماكننا في عربة النوم فلم نجدها وزعم لنا من كان يرتب رحلتنا انه لم يستطع ان يحجز لنا هذه الاماكن لكثرة القاصدين الى فلسطين ، واضطررنا الى ان نقضي ليلا طويلا ثقيلا في عربة مزدحمة فيها من نحب ومن نكره ومن يخف ومن يثقل ، جالسين في اماكن قد قسمت لنا بمقدار ، لا نكاد نتحرك ولا نضطرب الا آذينا من يجاورنا . ولا يكاد جارنا يتحرك او يضطرب الا آذانا . وقد فرقنا تفريقاً فلم يتح لنـا حتى الحديث الذي نجد فيه شيئاً من السلو والعزاء . فأما دماثة الخدم وظرفهم ورقة اخلاقهم فلم نجد منها شيئاً ولم نحس منها قليلا ولا كثيراً ويا لهـا من ساعة بغيضة حين ذهبنا الى عربة الاكل نريد الافطار فلم نجد الا نفراً من امم مختلطة ان يميزهم شيء. فقبح الطلعة وثقل الظـل. حرام علي هذا القطار لا آخذه الا ان اضطر اليه اضطراراً !

نعم كانت ليلة ثقيلة بطيئة . وكان يزيدها ثقلا وبطئاً هذا الخاطر الذي لم يفارقني فيهـا الا لحظات قصاراً هي اللحظات التي كان يغلبني فيها النوم على نفسي فيخفق رأسي خفقاً او يطرق اطراقاً ما اظن الا انه كان مضحكاً بشعاً . كان هذا الخاطر يتردد في نفسي فيؤذيني ويزيدني ضيقاً الى ضيق . وكان اثقل شيء علي انك لم تكن معي لاسري عن نفسي بالتحدث اليك فيما اجد من الم وما احس من يأس لفتور تلك اليد التي صافحتني وخفوت ذلك الصوت الذي ودعني في غير حرارة ولا تأثر ظاهر . صحبني هذا الخاطر طوال الليل وصحبني طوال النهار بعد ذلك في هذه الرحلة الطويلة المملة من فلسطين الى لبنان في سيارة يسوقها اثقل من رأيت ظلا واجفاهم خلقاً واشرسهم طبعاً وابغضهم حديثاً يسرع ويبطىء كما يريد لا كما نريـد . ويقف حيث يجب لا حيث نشتهي . مجازف قد هانت عليه نفسه فهانت عليه نفوس غيره . تراه يندفع لا يلوي على شيء ، وعن يمينه او عن شماله الهوة ذات القرار البعيد . فان تقدمت اليه في الرفق والهوادة اجابك في غلظة وجفوة : ان



في مصيف بيت مري : الدكتور طه حسين بك يستمع الى كريمته تتلو فصلا من ترجمتها الفرنسية لكتابه « اديب »

يصبك شيء . فسيصيبني مثله ، قضينا مع هذا الرجل يوماً لم يكن اقصر ولا اخف من ليلتنا في القطار . ولكننا كنا جميعاً غير متفرقين في هذه السيارة . وكان بعضنا يستطيع ان يتحدث الى بعض فكم سمعت من لوم . . . وكم احتملت من تأنيب . . . على اني كنت اسمع واحتمل راضياً مبتسما لاني كنت خليقاً بهذا اللوم والتأنيب ، ولاني كنت اجد فيهما عوناً على انفاق الوقت وتسلية عن مشقة السفر ، ولاني كنت احاول ان اجيب واعتذر وادفع عن نفسي فأجد في هذا كله ما كان يصرفني عن ذلك الخاطر المؤلم الذي كان يتردد في نفسي بهذه الجملة : « ان كانت اليد لفاترة ، وان كان الصوت لخافتاً . . . »

ووصلنا مع الليل الى غايتنـا . فاذا فندق على قمة شاهقة ينحدر عنها سيل فيه شيء من الغزارة وفي انحداره شيء من العنف . واذا منظر جميل هذه الشمس المنحدرة من اقصى الافق تحير في فتور وتهالك اشعتها في رؤس الجبال وعلى سفوحها وفي الاودية ، واذا هذه الاشعة تأخذ الواناً مختلفة متباينة . وهي كلما تقلصت عن قمة او سفح او جزء من واد تركت من خلفها ظلاماً لا يكاد يتكاثف حتى تشقه هذه الاضواء التي كأنها تتجاوب هنا وهناك وهي الاضواء التي تشبهـا تلك القرى الجبلية اذا جنها الليل . وجدت اسماعنا في انحدار هذا السيل وابصارنا في انحـدار هذه الشمس ما اراحنا بعض الشيء من ليل القطار ونهار السيارة . واراحتنا دعة اصحاب الفندق وخدمه من شراسة خدم القطار وسائق السيارة . واسرع كل منا الى غرفته فاذا الماء يجري فيها بارداً وحاراً ، فأزلنا عن انفسنا وعث السفر والتقينـا بعد ساعة في غرفة المائدة . وقد استأنفنا شيئاً من النشاط ولكنه نشاط فاتر وكان احب شيء الى كل واحد منا بينه وبين نفسه ان تنقضي ساعة الطعـام وساعة السمر ليأوي كل منـا الى حيث يجد الراحة من السفر : من القطار ، من السيارة ، ثم من الناس عامة ، ثم من نفسه قبل كل شيء وبعد كل شيء .

انت رجل تطرد حياتك على وتيرة واحدة فلا تكاد تحس ما يحس اصحاب الحياة المضطربة المعوجة من الم ولذة . ولا تكاد تجد ما يجدون من هذه الخواطر المتناقضة التي ترضى وتسخط والتي ترتسم وحدها احياناً على الوجوه ، فاذا هي عابسة مقطبة ، واذا هي باسمة مبسوطة الاسارير . وما اظن انك احسست في يوم من الايام سأماً او مللاً او ضيقاً بنفسك ونفوراً منها وازوراراً عنها ورغبة في ان تنساها وتنساك . وما لك تجد شيئـاً من هذا او تحسه وانت رجل لا تاريخ له ، قد رضيت بحظك من الحياة فلا انت تنكره ولا انت تبتغي منه المزيد .

ومع ذلك تستطيع ان تصدقني ان احدنا لا يصل به الامر احياناً الى ان يكره نفسه ويسأمهـا ويحرص لا على ان يفارقها بل على ان يستريح منها حيناً . كذلك كنت حين كان هؤلاء الخدم اصحاب الوجوه الصباح والحركات الرشيقة واللغة الغريبة في اصوات عذبة يطوفون علينـا بالصحاف والاكواب يلحون على هذا ويتلطفون لذاك كأنمـا نحن ضيوفهم في دورهم ، فهم حراص على ان يلقونا بحسن الضيافة والقراء .

كنت على هذا كله ضيقاً بكل شيء وبكل انسان وبنفسي قبل كل شيء وقبل كل انسان . وكنت الى ذلك متعباً مكدوداً .

فلم اكد آوي الى غرفتي حتى اسرعت الى سريري دون ان ادخن هذه السيجارة التي تعودت منذ اعوام ان اقدمهـا قرباناً الى ملك النوم . وكأن هـذا الملك قد ساءه ذلك واغضبه ، فاذا انا ادعو النوم وادعوه والح عليه مغضباً ومستعطفاً دون ان يستجيب لي او ان يمسني بجنـاحه الرفيق . واذا انا اتقلب في مضجعي على مثل الشوك . واذا هـذا الخاطر يتردد في نفسي تردداً متصلاً مؤذياً بهذه الجملة : « ان كانت اليد لفاترة ، وان كان الصوت لخافتاً . . . » واذا انا مضطر الى ان انهض فاحرق مكان السيجارة سيجارتين ثم سيجارتين ، وان كاد الليل ليكاد ينجلي حين مسني النوم بجناحه فاهويت في سبات عميق ولكنه ثقيل .

وانا الان اكتب اليك وقد انفقت في هذا الفندق اسبوعاً او بعض اسبوع . لم اكتب الى احد ولم افكر في احد ، بل لم افكر في نفسي ، وانما قضيتها اياماً عشت فيها عيشة الحيوان بين اكل ونوم ومشي كثير دون ان اجد في ذلك ما كنت انتظر او ما كنت ابغي من لذة وراحة .

احق اذن ان البون شاسع بعيد كل البعد بين ما نبتغي من الحياة وما نجد في الحياة ؟ ام هي نفوسنا تختلف وتتباين فيما بينها ، فمنها القانعة التي يرضيها كل شيء ، ومنها الطامعة التي لا تقنع بشيء ؟ لقد كنت قبل هذه الرحلة كما رأيتني حرج الصدر لا اتمنى الا ان اريح نفسي من هذه البيئة التي كنت اضطرب فيها ، وكنت ازعم اني سأجد في لبنان راحة من مصر ، سأجد في جوه المعتدل راحة من جو مصر المحرق ، وسأجد في مائه العذب البارد راحة من ماء مصر الكدر الفاتر ، وسأجد في طبيعته الغليظة الجافية راحة من طبيعة مصر الفاترة اللينة ، وسأجد في سذاجة اهله وسلامة طباعهم راحة من اخلاقنا المعقدة وطباعنا الملتوية ، وسأكون مجهولا فاريح واستريح ، لا اسأل عما افعل ولا اعنى بما يفعل الناس من حولي . وكنت اعقد بهذه الرحـلة آمالا وآمالا . وكنت اقسم لاتركن مصر في القنطرة ولانسلن منهـا انسلالا كما تنسل الشعرة من العجين ، لا افكر فيها ولا في اهلها ، ولاريحن نفسي منها ومنهم شهراً وبعض شهر ، حتى اذا اخذت من هذه الراحة حظي واستوفيت منها حقي عدت اليهـا واليهم موفور النشاط جذع البصيرة قارح الاقدام كما يقول قطري ، فاستأنفت فيها وفيهم الجهاد .

كذلك كنت آمل ، وكذلك كنت ابتغي . واقسم ما ظفرت من هذا بشيء او ببعض شيء . فما نسيت مصر ولا اهلها ولا استطعت ان اخلص منها ولا منهم لحظة طويلة او قصيرة . هي تتبعني وهم يحيطون بي . وحيثما اذهب واينما استقر فانما اذهب ومعي مصر واستقر في اهل مصر : هذا يجبني وهذا يكرهني ، هذا يسوءني وهذا يحسن الي . وانا اجيب هذا وذاك واجزي كلا من عمله . ومن غريب الامر انى كنت قد بالغت في قطع الصلة بيني وبين مصر فطلبت الا ترسل اليّ الصحف ، ولم اترك عنواني لاحد ، فما هي الا يوم او بعض يوم حتى كلفت من ينحدر الى بيروت ليحمل الي الصحف ، وكتبت الى مصر لتصل الي الصحف والرسائل في نظام واطراد . وقد اصبحت اليوم فكتبت كتابين هذا احدهما . فاما الاخر فليتني لم اكتبه وليتني بنوع خاص لم ارسله . ولكنه قد كتب وقد ارسل ، ولم تبق لي حيلة فيه ، فلأختم هذا الكتاب ولارسله ايضاً . وانا اعلم انك ستستطيله وقد تستثقله ، ولكني اؤكد لك اني لم اكتبه اليك لارضيك وانما كتبته اليك لارفه به على نفسي . فاغضب او ارضَ ، ولكن اقرأ واجب واطل ان استطعت وقل ما شئت مما يسوء ويرضي ، ومما يضحك ويبكي ، ومما له قيمة ولا قيمة له .

وتقبل تحية اخيك الذي لا يجد شيئاً اثقل عليه ولا ابغض اليه من هذا النفي الاختياري الذي ورط نفسه فيه .

بحمدون   بيت مرى   طه حسين

الطريق

الى رفيق لي على الطريق
الدكتور شكيب الجابري

بقلم
خليل هنداوي

احجبي عن عيني الطريق !
لا اطيق ، ان ارى الطريق .

*

الطريق المعبد ، الطريق المخدد . انظر اليه فيزدحم امام خيالي الوف من الاشباح التي كانت تطرقه باقدامها ، وتطوه رائحة غادية .

اتمثلها تخبط الطريق بزهو وخيلاء ، لان الآمال تنفخ جوانحها وتملأ جوانبها . والطريق تحتها بجمد الوجه ضارع الخد ، لا يثور ولا يتمرد . يحتمل على ظهره هذه الكائنات التي تمشي مثقلة باسرارها ، مرهقة بآمالها ، يتوجع، لكنه يصبر . وينسى ، لكنه يذكر . ويخفق بالنعال فلا يتململ . ويضرب فيتحمل .

هذا هو الطريق !

احجبي عن عيني الطريق !

*

تصطف على جانبيه بيوت كثيرة ! منها ما يكاد يتهدم . ومنها الطريق الذي يقوم على اطلال القديم ، كأنما القديم والجديد تعهدا له بان يعيشا متآلفين حوله . وفي هذه البيوت نوافذ تطل على الطريق ، وابواب تفتح على الطريق .. لتصفعه الاقدام ما خطرت وعبرت . وفي هذه البيوت مباهج كثيرة ، وخلف جدرانها لذات تطغى ومرح ينطق ومآسي لا تتكلم . ولكن الطريق لا يحس منها شيئاً ، الا ان يحس بقايا لذة عالقة باقدام عشاق هائمين ، او سكارى متثاقلين ، او اشباح سائمين . كل ذلك يمر على الطريق .

ولكنه لا يقف على الطريق .

*

تمر هذه الكائنات بلحمها ودمها على الطريق كالظلال التي تسوقها امامها عليه ، فلا يمسكها الطريق ولا يمسك ظلالها .

اراها تمر عليه صفوفاً محدودة كالخيط الاسود الممدود بلا نهاية ، لا تحاول ان تخرج عن جادته . ومن ذا يخرج عن الطريق ؟ وكلما ذهب فوج جاء فوج بنفس الامال وذات الاقدام .

يجيئون ويذهبون كالاشباح العابرة . والطريق ... الطريق الحقير يتثاءب ساخراً منهم لانه وحده يبقى بعدهم . يراهم يعبرون عليه حيناً يولدون ، وحيناً يموتون . يدفنهم كلهم ويبقى بعد ذلك نقي اليد ، مصعر الخد .

أحجبي عن عيني الطريق .

لا اطيق

ان ارى الطريق ...

*

على هذا الطريق الاسود الكريه الذي بلغ من الكبر عتياً ، احس من درجوا عليه للحب والحياة ، للكره والموت . احس الذين عبروا عليه ، والذين لا يزالون يعبرون ... فأسأل نفسي : الى اين يحملهم هذا الطريق ؟

اتطلع الى نهايته ، فاراه بلا نهاية . وارى المسافرين : راحل الامس منهم وراحل اليوم سيان . لانهم جميعهم لم يخرجوا عن حدود الطريق .

يظنون ان وراء طريقهم غاية يوشكون ان ينالوها ... ولكن هذه الغاية هي السير المجرد على احشاء الطريق .

الطريق الذي سلكه من قبلنا ويسلكه من بعدنا . وتتقلص عليه ظلالهم وظلالنا ... تزول اشباح الطريق ، ويبقى الطريق .

تمضي هذه الاشباح الطافحة عزماً وفتوة واملًا وكبراً ... ويبقى الطريق الحقير الوضيع الذليل .

لان الذي ينتصر ... هو الطريق .

لا تحجبي عن عيني الطريق ...

لاننا من ابناء الطريق ...

على هامش المدنية الحاضرة

بقلم عبدالله العلايلي

تجتاز البشرية اليوم مرحلة ربما كانت اكثر مراحلها تعقيداً واخطرها اثراً، وهي في حقيقتها هجرة تضع الانسان في حال ارقى مها تخرص المتشائمون، واظهروا نظاريتهم في مصير العالم بمظهر اتخاذ قوي واست اريد ان افرطها في التعلق باذيال النظرية التفاؤلية كشيء لا يعنيني امره كثيراً او قليلاً، وانما اريد ان اشير اشارة وصفية الى ما يتنازع المحيط البشري من اضطراب، مبعثه تأليه الفكر والنزول بكل شيء عنه.

على ان قداسة الفكر تزلزلت في حدة النقد، الذي غدا رغبة شاعت على كل شيء وتناولت كل شيء، ثم انتهت الى الشك في كفاءة الفكر نفسه. فقد كرت طائفة كبيرة من الفلسفات المختلفة المتناقضة، وطائفة غير قليلة من النظريات الحيوية والاجتماعية الاقتصادية، وكانت الحياة البشرية تتعقد وتزداد تعقيداً في ظل العقل، الذي مس الجماعات وهي ادق احساساً من الافراد، فانكفأت في صراع افزع المراقبين.

ولكي ندرك مدى الفساد الاجتماعي اليوم، نشير الى الرغبة الحادة التي تملكت الجموع في التحول بل الانفلات والانطلاق، بمحاولات كمحاولات الغرقى يتمسكون بكل طافٍ، ولكن ليزيدوا في مرارة يأسهم ...

وهذا طبيعي، وهو ينكشف على ضوء نظرية في النشوء البشري لا بد من ذكرها، لفهم مدى هذا التيار وخطره. والنظرية التي نشير اليها تتلخص:

بان الانسان ككائن حي يتوجه بالغريزة، ولا تستقر صفة من الصفات لديه الا اذا اتخذت الطابع الغريزي. وعليه فلا بد ان يمر الانسان في اربعة ادوار:

(١) دور الغرائز الحية.

(٢) دور الغرائز الاجتماعية، وفي هذا الدور توافرت لدى الانسان العواطف وشتى الاحاسيس والمشاعر. ولكن قبل ان تتخذ هذه الصفات درجة سيطرتها على الانسان، كانت جماعاته تتخبط وتضطرب حتى آذن الزمن باعطائها الصفة الغريزية، فتخضع لعملها ازماناً نقلته بفاعلية التطور المستمر، الى الدور الثالث.

(٣) دور الغرائز العقلية، ونعني بها ان تتخذ صفات العقل طابع الغريزة، ويكون لعملها في الكائن ما للغريزة من سيطرة وتأثير وتعميم... والغرائز العقلية مدعاة للسقوط العام والفساد الاجتماعي، فقد ظهر ان صفة الطاعية والجشع استمكنت لدى الجماعات في اواخر القرن التاسع عشر، على صورة فظيعة كريهة، وتولدت النظرية التي تحدد الزمن والقيم الاخرى بانها عبارة عما يقاس بالكسب المادي.

وفي نظري انها استقرت على هذا الوجه البشع البغيض، بانتقال الكسب من جهد للعيش وضرورة للبقاء، الى عمل عقلي يقضي على الانسان بضرورة الكسب والتزيد الذاتيين، حتى اصبحا غريزة عقلية. فبطلت صفة القناعة على وجه تام، وكان من هذا ما عقد المدنية بدون ريب.

(٤) دور الغرائز الادبية المثالية، وسيكون هذا الدور نعمة على الشعوب، لانه اتصل بالانسان بعد التمحيص العقلي والتبلور الفكري في الافراد والجماعات...

وعندنا ليس من ريب في ان التربية هي التي تصحح اسلوب تركيز الغرائز، فعليها المدار في انتشال الحياة والاجتماع والانسان، ولكنها في وضعها الحاضر فاسدة بكل معنى الفساد، وهي تعين ويلات البشرية وتذكيها. وذلك لان الفرد هو الذي يؤلف الجماعة ويعكس على الحياة انواعها وتشكلاتها، فعلى مقدار سلامته تكون سلامتها. فوجبت العناية بالفرد، والعناية به طريقها التربية التي يجب ان تمتد وراء حدودها الراهنة الموضوعة، والقائمة قياماً عقلياً عقيماً. فهي بحق قد نمت الجزء العقلي في الكائن، ولم تعن ابداً بالجزء الادبي المثالي، فأخوت نفس الكائن واجدبت، وكان ان اقفرت الحياة البشرية اقفاراً تاماً، فقد عدت صفة التعليم على صفة التربية ومسختها مسخاً كاملاً.

ان الحياة في القرن الحاضر والذي قبله، جرت على سنة مادية بحتة، ومالت الصفة الروحية فيها الى الضمور والاضمحلال، وغدت مقاييس الاشياء وقيمها نفعية محضة واستثمارية خالصة.

وبحق كان هذا الدور من ادوار النشوء البشري دور الاثرة، ولربما كان هذا الاسم اخلق ما يعبر عن شكل الحياة وينطبق عليه. فلم تعد فيها لبانات واحلام بعيدة ممدودة، ومثاليات تحرك مكامن الذات الخفية فتندي حركات الحي.

ولقد بات الانسان يشعر معها، بانه يعيش ليرسم اشكالا

هندسية في امده المحدود ، لا تطرية فيها ولا استهواء .

وفي تقديري ان الفن الذي زاوله الانسان، ليعبر به عن الذات الخفية في جانبه الروحي ، كما عبر بالمعرفة عن مثل تلك الذات ايضاً في جانبه العقلي ، تزداد الرغبة به كلما ازدادت الحياة اجدابا بالفكر وجفافاً بالعقل ، وكان الانسان كثيراً ما يجد لبانته فيه .

وعلى هذا النحو ألح الانسان الحديث في تبديد سأمه واقفار نفسه وملال حياته ، بالتزيد من اشياء الفن ، ولكن الفن في يديه تحول مادة صماء طامسة ، فلم يعد ينطق الا بما يزيد الانسان شعوراً بالسأم والانقباض .

واما النشوات الخالدات والاحلام الخفية بالفتون ورسوم اللانهايات ، التي تنقلب بالنفس الانسانية الى عالمها المسحور ، الغني بالاطياف اللاذة ، الغني بالبدوات ، فقد ذوت في الفن الجديد .

فذلك الفن الحي عوضنا به فناً ضاوياً ، يركز فينا الشعور الجديد .. فالتصوير خطوط ساذجة ، والموسيقى لا ايحاء فيها بما تناولها من التحديد ، والشعور رسوم باهتة تمخضت في هذا القرن عما يسمونه بالشعر المكعب .

ولكن اليأس في الفن لم يطل كثيراً ، فاتجه الناس صوب الفن المثالي الذي تمنحه النفس الاسيوية او النفس التي لم تفقد رموزها .

فالفن اول ما قضت عليه الحياة الجديدة ، الحياة الصارمة المحددة ، الحياة التي القت بالانسان داخل بناء يزداد ضيقاً في المدى والفكر ، ويزداد الانسان معه شعوراً بالاسر . وانما كان الفن الضحية الاولى ، لانه فقد صفة الانطلاق ، التي لا تتفق وسيطرة الفكر المادي الرتيب .

ان الفن انطلاق نحو المجهول ، والحياة الهندسية ذات الامتدادات والابعاد ، لا تبعث من الفن الا اشكال امتداداتها وابعادها .

واما الفن المبدع الذي ينقل الانسان الى جو الاحلام المطلقة ، الى جو « الانا » ، ويحوله كائناً آخر ، فقد ذاب في هجير الحياة الجديدة وصرع داخل اقفاصها .

وانا لا اذكر هنا الفن من اجل الفن ، ولكن وصولا الى ان الحياة الجديدة جامدة جافة ، فيها شيء من الوحشية ، نتيجة اضمحلال الرموز الروحية في ظل العقل ، الذي نادى بمذهب محدودية الانسان وخضوعه لعنصره ومزاجه ، والذي وسم هذه الرموز بانها محض تقهقر عقلي ، ومجرد قوة عقيمة ليس فيها اي نفع مباشر .

وهذه الرموز قد تكون محض تقهقر عقلي ، ولكن اضمحلالها ايضاً محض تقهقر حيوي ، يصاب به الانسان في الوجود نفسه .

وفي الحياة الجديدة ظاهرة تزيدني اقتناعاً بأثر اضمحلال الرموز ، وهو الالحاح في اللهو للهو والتهالك عليه ، الى حد عدم الاعتراف بكل المسؤوليات . وهذا الالحاح يكون على الدوام مصاحباً لانحلال الحياة التي فقدت رموزها ، ولجوء المصلح الى القانون في الحد منه ودرئه ، مداواة بدون تشخيص ومعالجة مع الابقاء على جرثومة الفساد . والعلاج الحقيقي قبل التشريع والتقنين ، في ترويض الحياة الجامحة عن رموزها . والا فاللجوء الى القانون وحده ، ابقاء للفوضى في ظل النظام .

لا شك في ان الانسان القديم كان اكثر انانية ، من حيث انصرف بتفكيره الى الخلود في حياة ابدية اخرى . ولكنها انانية مثالية عكست اصلاحاً على حركاته العامة ، وقدمت فيه انساناً اكثر استقامة وتهذيباً واقل طماعية .

بينما الانسان الجديد ، اقام فكرته على واقع الحياة في نحو عقلي ، فسعى وبذل الجهد تحت جو اضمحلت رموزه ، فاطلق لغرائزه عملها في نهم وشره واستئثار ، وفي استباحية من اية طريق ، وهذا نتيجة طبيعية للفكر الذي لم يعد ما يسيطر عليه .

اذن فالانسان لا بد له من رموز مثالية ، وهي لا تكون عقلية خالصة لان العقل طلعة ، وان كان عامل تطويرها وارتقائها . فيجب ان تكون مثالية ، ولكنها لا تملك لنفسها القوة على السيطرة والتوجيه ، الا اذا اخذت صفة الغريزة بحكم حيوية الانسان . فالاصلاح الاجتماعي لا يتم الا اذا توافرت الرموز الروحية ، وكانت بشكل غرائز ادبية .

وللايضاح اذكر هذا الشاهد الذي اورده مونتيسكيو في كتابه « روح القوانين » وهو : ان الاسبرطيين كانوا لا يعتبرون الفاضل من يفعل من اجل الفضيلة ، بل من يفعل الفضيلة لانه لا يمكنه ان يفعل الا كذلك . فالفضيلة عندهم ليست صفة بل طبعاً ، وعلى هذا الاساس النظري بنوا التربية العامة .

والذي يفيدنا من هذا في الحقل القومي : ان نوسع الحياة في المجتمع العربي لاحلال الرموز الروحية المنتخبة طبيعياً ، وان نروض الكائن العربي عليها رياضة تجعلها طبعاً وغريزة ، وان نعنى بان لا تكون رجعية تعارض حركة الارتقاء المطردة ، بل مشتقة من صميمه في الجانب الاخلاقي ، وتتسع له بمرونتها في الجانب الاعتقادي .

عبد الله العلايلي

بقايا سمر

الياس خليل زخريا

جمّدتْ خديك يا ليلُ شفاه القمر
واماني الدراريّ وطولُ السهر

*

ورؤى سرّحها البال كلمح المطر
واساطير تساقاها ميولُ البشر
ونشيش العرق والما . وصمت الحجر

*

واقفٌ وحدك في الارض كليلَ البصر
ترقب الغيبَ وما في الغيب من منتظَر
خافق الاضلاع كالنغمة حدو الوتر
وكهمس الشوق في رجع الصدى المنهمر

*

حائر ، مضطرب الخطو شتيتُ الفكر
يدفع الاشباح اثر الازل المنحدر
ويواري الخبر المبهم تلو الخبر

*

ثم على الآفاق وامسحها بلون القدر
اطفيء الضوء اذا مرّ ببال السحر

*

ظمأي انت فمن يرويك قبل السفر ؟!
اشرب الارض ، اذا شئت ، وبثّ الدرر
مصها ، يا ليل ، مصّ الشارب المختمر
واسكب البوح وما خبأت لي من ذكر

*

انا فيك ، الطيف ، والسر ، وخفق الصور
انا ذاك الشبح الغافي وراء الشجر

*

انّ خديك كخدي بقايا سمر

تراجم ادبائنا المعاصرين

بقلم مهدي القزاز

★

تقدم الينا مطابع القاهرة وبيروت في كل اسبوع عددا من الكتب تعالج مختلف انواع الثقافة وقضايا الادب وشؤون الفكر لادباء عرفوا –في الدنيا العربية – بعمق تفكيرهم ونضج ادبهم وما امتازوا به من عوامل الابتكار والابداع والذوق وما في اساليبهم من متع ادبية واشراق روحي وادب رفيع . . .

وهذا تيار ادبي له تأثيره في رفع مستوى العقل العربي وانارة الاذهان وخلق رأي عام مدرك مثقف يتلقف ما في هذا النتاج من آراء وصيحات جديدة ووثبات جريئة ومادة دسمة تهديه الى آفاق واسعة من الحياة وترشده الى النور وتزيد في ثقافته .

ولكننا نشاهد مع عظم هذا الانتاج الادبي وغزارته والثروة الفكرية التي يقدمها الينـا ادباء مصر ولبنان وما يتكبدون في سبيل ذلك من جهد ذهني ومراجعة مستمرة وتتبع طويـل انهم مقصرون تقصيرا مهما في معالجة ناحية هامة من نواحي الادب والثقافة وهذه الناحية من شأنها ان تؤرخ ادب العصر ومختلف التيارات التي تجاذبته واعني بها كتب (تراجم المعاصرين) من اصحاب النبوغ والالهام والادب والفكر الذين ذهبوا في السنوات الاخيرة وكان لهم اثر بارز في تكوين الادب العربي والنهضة الثقافية وما يتردد الان في جوانب الدنيا العربية من علم وفن وادب وابتكار .

هذه الناحية قد اهملها ادباء العرب المعاصرون مع علمهم باهميتها ومعرفتهم باثرها في دنيا الفكر واعلاء شأن الادب ورجاله في حين انهم يعالجون في كتبهم مختلف الدراسات الادبية من شعر ونثر وقصص كما ان بعضهم يقوم باحياء تراث المتقدمين من رجال الفكر والادب والسياسة وجلاء تلك العصور الغابرة بما تخللته من ثقافات وتيارات ادبية . امـا تراجم الادباء المعاصرين فلا تحظى منهم بكبير عناء واهتمام مع ان مثل هذه الدراسات لهؤلاء المعاصرين معني بهـا من قبل الادباء والمفكرين في الغرب وتحتل مكانا مهما لديهم .

ففي اوربا واميركا لا يذهب احد الشعراء او الادباء وكل من له اثر ملحوظ في الثقافة العامة الا وتقوم المطابع –بعد فترة قصيرة من الزمن لا تتجاوز الاشهر – باخراج عشرات الكتب التحليلية لشخصية هذا الشاعر الاديب ودراسته من كافة نواحيه مؤرخة بهذه الواسطة ادب العصر وتياراته المختلفة والوان الثقافة العـامة ونرى الكتاب المعاصرين يختص كل منهم بدراسة ناحية هامة من نواحي هـذا الشاعر او الاديب والعناصر التي اجتمعت في انتاجه فكونت منه شخصية ادبية مرموقة لها خصائصها التي امتازت بها في عصرها فيتركون للاجيال المقبلة ثروة ادبية ممتعة تكون من احسن المراجع واصدقها لهؤلاء الادباء وللادب المعاصر .

لذلك نشاهد ان كثيرا من ادبائنا البارزين عندما يبحثون في الادب الغربي وعن اعلامه يبرزون لنا صورا واضحة المعـالم دقيقة التجديد مشرقة العبارات وذلك لان المصادر لديهم متوفرة وغزيرة امـا اذا اضطروا الى دراسة اديب عربي معاصر وتحليل شخصه وادبه واثره فتراهم يتعثرون في ابحـاثهم ويسيرون بحذر شديـد وخوف ظاهر وذلك لقلة المصـادر لديهم وندرتهـا او استحالة وجودها .

وخاصة أن ادبنـا العربي المعاصر في بدء سيره الى النضج والكمال وان ادباءه الذين ذهبوا وكانوا قـد ساهموا في بنائه وتكوينه ووضعوا اللبنات في اساسه لا يزال اكثر الذين عاصروهم من ادبائنا البارزين احيـاء يرزقون وهم قادرون على ترجمتهم وتحليلهم وبيان الخصائص الادبية التي امتازوا فيها في آثارهم التي تركوها والتراث الفكري الذي خلفوه .

ان دراسة هؤلاء الذاهبين من الادباء المعاصرين من قبل اخوانهم الادباء الاحياء من المعاصرين ليكوّن ثروة ادبية في الادب العربي المعاصر تكون من احسن المراجع واصدقها لهذه الفترة من حياتنا الادبية وادبائها المبدعين فستتلقاها الاجيال المقبلة بغبطة وشوق وذلك لانها كتبت باقلام ادباء عاصروا وعايشوا هؤلاء الادباء وعرفوا عنهم كل خصائصهم ومميزاتهم ونواحي ابداعهم فيكون ما يكتبونه ويترجمونه اهم مصدر من مصادر التاريخ للادب العربي المعاصر .

وبالعكس اذا بقي ادبنا ناقصاً من مثل هذه الدراسات الهامة ولم يولها اعلام الادب عنايتهم واهتمامهم سيكون من الصعب على الاديب العربي الذي سيأتي في الجيل المقبل القيام بمثل هذه الدراسات وذلك لكونه يعيش في عصر غير عصر المترجم له فيحدث اذا اقدم على مثل هذه الدراسات والتراجم في كتاباته من الزيادة والنقصان والتشويه والكذب ما نشاهده في اغلب الدراسات الادبية لبعض اعلام الشعر والادب الذين عاشوا في العصر الذي سبق عصرنا .

لذا فمن واجب كبار ادباء العرب المعاصرين في مصر ولبنان وسوريا والعراق القيام بهذا الواجب الادبي الذي اهملوه مع انه اولى بعنايتهم لانه علاوة على كونه ميداناً فسيحاً لابراز عبقريتهم وابداعهم ينتج ثروة ادبية لها اثرها في الادب العربي ، وابسط دليل على ما نقوله ما يتمتع به الكاتب الذائع الصيت (اميل لودفيك) وكتب التراجم التي الفها من مركز ادبي رفيع في العالم .

لقد مات المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي وكانا رحمهما الله اصحاب مدرسة ادبية ذات لون خاص في الادب العربي وان تأثيرهما في الادب المعاصر وفي بعض الادباء المعاصرين لا ينكره احد علاوة على كونهما اديبين بارزين في مصر والبلاد العربية ويستحقان عناية الدرس والتحليل ، فما هي الكتب التي صدرت تترجم هذين الاديبين اللهم الا كتاب العريان عن الرافعي وهذا لا يكفي لدراسة اديب دوّى اسمه في مصر والبلاد العربية فترة من الزمن .

ومات شوقي وحافظ وكانا علمين بارزين في الشعر اجمعت جميع الامم العربية على اكبارهما واعترف الادباء بعبقريتهما الشعرية وما امتاز كل منهما بخصائص جعلته طائر الشهرة وذائع الصيت ليس في البلاد العربية فقط بل في اكثر اقطار العالم وكان لهما تأثير كبير في الادب العربي المعاصر ، فمثل هذين الشاعرين كان يجب ان يعنى بدراستها عشرات الكتاب المعاصرين ويؤرخوا عصرهما ويجلوا هذه العبقرية التي الهمت كلاً من الشاعرين شعرهما الذين هز العواطف العربية وشاركها في خيالاتها وامانيها وطموحها .

ثم مات عبد القادر حمزة والبشري وكان لهما من الصيت والدوي والمركز الادبي والثقافة الصحفية ما جعل لهما مكانة مرموقة في جميع البلاد العربية علاوة على مركزهما الممتاز في مصر وان تأثيرهما في الثقافة العامة لا ينكره أحد فمن الجحود ان يمر موتهما بدون ان يتحرك هذا الرعيل المعاصر من زملائهما الادباء والصحفيين لتخليدهما بتراجم توضح مدى اثرهما في خدمة الادب والمعرفة والصحافة .

ومات جبران والريحاني وفيلكس فارس والانسة مي والخازن وكانوا من الادباء البارزين في البلاد العربية ولهم جولات صادقة في خدمة الادب والثقافة وكان تأثيرهم في الادب المعاصر ملحوظاً علاوة على آثارهم التي تركوها وكان لها -- وما يزال -- مركزها الادبي الممتاز لدى قراء الادب العربي وادبائه مع العلم ان الريحاني وجبران انتشر صيتهما الادبي في الدنيا الجديدة ايضاً فعرفوا فيهما الاديبين الناضجين اللذين خلدا من الآثار مايعد ثروة ادبية للمكتبة العربية .. مات هؤلاء بدون ان يثير موتهم اي اهتمام من

جانب الذين عاصروهم وعرفوا فيهم عمق ثقافتهم واثرهم في الادب العربي المعاصر ولولا كتاب الشاعر ميخائيل نعيمة عن (جبران) لما ذكره احد ! . . .

ومات الشهبندر وكان علماً من اعلام المعرفة علاوة على كونه زعيما وطنياً وله في دنيا الفكر جولات صادقات تشهد بهـا مجلتا المقتطف والهلال وصحف الدنيا العربية وآثاره كما يتمتع بصيت بلغ اوربا والدنيا الجديدة وله في الادب المعاصر آراء وآثار . فهل من الانصاف ان يمر موته وتمضي السنون بدون ان يقوم احد من هؤلاء الادباء والزعماء الذين تعج بهم الدنيـا العربية فيؤرخ لنا الشهبندر .

ويموت الزهاوي في العراق فلا يهز موت هذا الشاعر العظيم الذي افنى شبابه وكهولته في خدمة الشعرالعربي احداًمن معاصريه الذين يقدرون فيه شاعريته التي افاضت بروائها على طائفة البلاد العربية نغما جدد الحيـاة في العراق وردده صحارى بلاد العرب وسهول سوريا وجبال لبنان واطرب بلاد النيل ، لا يهز موت هذا الشاعر فيوحي لعارفيه بما يحتمه الواجب الادبي من دراسته وتحليله تخليدا له وخدمة للادب العربي المعاصر .

جميع هؤلاء الادباء والشعراء وغيرهم بالعشرات في البلادالعربية ماتوا وكانوا في حياتهم رواد هذا الادب الذي جاهدوا مخلصين في سبيل تجديده بدون ان يحرك موتهم هذا اخوانهم المعاصرين من الادباء فيقوموا باخراج كتب بترجمتهم توضح مراحل الادب العربي وتطوره من وراء دراستهم وتحليلهم . في حـين ان مثل هؤلاء الادباء واقل منهم شهرةلو كانوا في بلاد غيرالبلاد العربيةلكانت الان قد اخرجت عنهم المطابع مئات الكتب التي تدرس حياتهم وانتاجهم وعصرهم .

هذا النقص في ادبنا العربي يشعربه الانالمثقفون وحتى انصاف المثقفين في جميع البلاد العربيةمتمنين ان يقوم اعلام الادب في ديارهم بواجب الالتفات الى هذه الناحية المهملة في ادبنا المعاصر فيتركوا لنا وللاجيال المقبلة ثروة ادبية تكون عونا لنا بالتعرف الى ادبائنا وآثارهم وتخليدا لهؤلاء الذين كانوا في ايامهم يملأون دنيـا الادب بعطور افكارهم وتموجات ثقافتهم ومذهبهم في الحياة . . .

بغداد — مهدي القزاز

تطلب الاديب ومنشوراتها

✯

بيروت — من — دار الصحافة والنشر
صيدا — « — السيد يوسف الجيز
النبطية — « — مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور — « — السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون — « — السيد جميل ماضي
طرابلس — « — مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا — « — السيد فؤاد الحاج
حلبا — « — السيد عبدالله مخفوض
زحله — « — السيد جوزيف فرحات مطران
عاليه — « — السيد نجيب سليمان
بعلبك — « — السيد على الاحمر
دمشق — « — السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه — « — مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص — « — « السيد عبد السلام السباعي / « السيد توفيق الشامي
اللاذقية — « — « السيد حنا نصره / « عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد متزلجي
طرطوس — « — « الاستاذ صالح علي
حلب — « — « السيد جان رزق‌الله كردي
الباب — « — « الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور — « — السيد صالح السيد
العراق — « — المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين — « — شركة فرج الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر — « — مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل . س . في العراق د ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم

ازمـــــة المدرسة الثانوية

بقلم واصف البارودي
مفتش عام التعليم الثانوي في الجمهورية اللبنانية

✶

كل لبناني واع يتطلع اليوم الى لجان المنـاهج وينتظر باهتمام نتائج اعمالهـا وما ذلك الا بسبب الشعور بضرورة التبديل والتحوير وتغيير الاوضـاع في كل مـا يتعلق بالمدرسة وخاصة بالمدرسة الثانوية .

واذا اردنا ان نتعمق في درس هذه القضية فاننا نجدها قضية عالمية اليوم ،وليست قضية قطر خاص او وطن بعينه فازمة المدرسة ازمة عامة وليست بازمة بلاد معينة . وقد بدأت هذه الازمـة قبل هذه الحرب الضروس ، وازدادت في اثنائه وكل امة تحاول حلها منذ اليوم لتواجه السلم بما يركزه على اسس قوية واركان متينة .

انتبه العالم بعـد ان ايقظته المباحث الحديثة في علوم النفس والاجتماع والحياة الى ما للشباب من اهمية في رقي الامم ، وفي سير الحضارات والى ما للمدرسة بصورة عامة ، والمدرسة الثانوية بصورة خاصة ، من اثر فعال في تكوين هؤلاء الشباب وتوجيههم وجهة صحيحة او ملتوية وبالاختبار تأكد العالم من اخطاء المناهج الموضوعة والخطط المعمول بها ، فطالب وشدد المطالبة ، بضرورة تبديل الخطط واعادة النظر في المناهج المدرسية على ضوء الحقائق العلمية والاهداف الصحيحة ونحن بين يدي الموضوع لابد لنا من ان نتسائل اولا : ما هي الاسباب التي سببت ازمة المدرسة الثانوية وتناولتها بصورة خاصة .

والمجال ليس يتسع لذكر جميع الاسباب فاكتفي الان بذكر ثلاثة اعتقد انها في مقدمة ما هو اساسي منها ١- تطور التعليمين الابتدائي والعـالي . ٢- تطور علم النفس وتحقق علم الاجتماع ٣- تطور مفهوم التربية وصلتها بالحياة

١- تطور التعليمين الابتدائي والعالي

ورثت الحضارة التعليم الثانوي وورثت معه علاقته الوثيقة بالتعليم العالي لدرجة ان الثاني كان متمماً للاول ، ولم يكن للتعليم الثانوي اية علاقـة مع التعليم الابتدائي ، بل كان السور الصيني ، حسب تعبير احـد علماء التربية يفصل بينهما فصلًا باتا اذ كان ينظر الى الابتدائي كتعليم منحط بالنظر للتعليم الثانوي ،التعليم الارستوقراطي ولا نزال نحن في لبنان ننظر اليه هذه النظرة الى اليوم .

ثم مـا زال التعليم الابتدائي ينمو ويتطور في البلدان الراقية حتى تمكن اخيرا من هدم ذلك السور واصبح موازيا للتعليم الثانوي يتصل بالتعليم العالي اتصالا مباشرا ، اخرج بواسطته للمجتمع نخبة من رجـال الفكر اذكر منهم اوجان بريو ، تلميذ مدرسة ترغو الابتدائية والاديب الفرنسي المعروف الذي استحق الخلود فقبل عضوا في الاكاديمية الفرنسية ، وبول لانجوفـان ، تلميذ مدرسة لافوازيه الابتدائية والعالم الكبير الذي اصبح استاذا في الكولاج دوفرانس ، وخلد عضوا في اكاديمية العلوم . عندئذ تسائل العلماء ما ميزة التعليم الثانوي ؟ فقال دركايم ليس ما يثبت وجود حواجز بين المدرستين ، الابتدائية والثانوية ، وهي حواجز مكونـة من فكرات غير مقبولة يجب ان نتمنى زوالها . وهكذا فقد اصبح الاتجاه الاخير توحيد التعليمين وقد تم في فرنسا تقريباً قبيل الحرب الحاضرة ، باسم المدرسة الواحدة ، وقد قال « زاي »واضع مشروع التوحيد « لا يجوز ان يكون لنا ناشئتان تتجاهل وتتحاسد ».

واما التعليم العالي الذي كان استمرارا للتعليم الثانوي ، فانه تطور من جهته وتفرع لانواع عدة اصبح يتعذر معها تحديده ، حتى قال كفاليه المدير السابق للتعليم العالي في فرنسا ،وقد كان مستشاراً عاما للمعارف العامة في المفوضية الفرنسية في بيروت، في احد ابحاثه عنه ، اننا نصطدم اولا بالقضية الاولى وهي تعريف التعليم العالي ويظهر انه لا يمكن ايجاد تحديد عام مرض ، . وهكذا انفصمت العرى بين التعليم الثانوي المحافظ والتعليم العـالي المتجدد بعد ان كانت وثيقة بينهما في عهد المدرسة التقليدية .

افيجوز ان يتطور التعليمان ، الابتدائي والعالي ، هذا التطور

الذي اقتضته نواميس الحياة ويظل التعليم الثانوي محافظاً على تقاليده ؟ . . .

٢ – تطور علم النفس وتحقق علم الاجتماع

ربما كان الاولى ان يذكر هذا السبب اولا – لما كان لهذين الحادثين الهامين في تاريخ الحضارة البشرية من تأثير فعال في تطوير التعليمين بتبديل اتجاهات التربية وتعديل طرقهما . فهمت نفسية الولد ، ناشئاً وشاباً، فهماً لم يسبق له مثيل ، واصبح المجتمع البشري خاضعا للاسلوب العلمي في البحث ، فانكشفت للعلم نواميس نفسية واجتماعية جعلت التربية فنا يعتمد على نظريات علمية صحيحة مستمدة من نفس الولد الذي نقوم على تربيته وروح المجتمع الذي يربى لاجله ، وقد اثر هذا التطور تأثيره القوي في المدرسة الابتدائية وساعد على تطويرها ، فهل يسع المدرسة الثانوية ان تحافظ على تقاليدها ؟ .

٣ – تطور مفهوم التربية وصلتها بالحياة

كانت المدرسة للتعليم فاصبحت للتربية ، وكان اكتساب المعارف غاية فاصبح وسيلة لتربية النشء. تلك التربية التي قال عنها هالبواش « انها انجع وسيلة تمتلكها الامة لتكوين افرادها على صورتها » . فهي اذن لامكانية الحياة في مجتمع معين وفق نواميسه ومثله العليا ولتحقيق استمرار الرقي فيه ، ولهذه الحياة مظاهرها المتعددة واحوالها المتنوعة وتقلباتها الدائمة فلا بد من ان يكون للتنظيم المدرسي مرونته التي يجب ان تتجلى في منهاجه ، والمنهاج هو اصدق تعبير عن روح التعليم في المدرسة .

فالمرونة شرط اساسي في المناهج الحديثة وخاصة في مناهج المدرسة الثانوية ، لان الولد متى تجاوز الثانية عشرة ينمو بالتمايز فيجب تنظيم المنهاج حسب هذا التمايز الذي يعرض في هذا الدور الخطر من ادوار الحياة .

التعليم الثانوي والحياة

وهكذا فقد كان لتطور التعليمين : الابتدائي والعالي ، ولمحافظة المدرسة الثانوية على تقاليدها على الرغم من تطور علم النفس وتحقق علم الاجتماع وبالتالي من تطور مفهوم التربية وصلتها بالحياة ، تأثيره السيء على التعليم الثانوي ، فاصبح مضطرباً ، حسب تعبير «لوسيان فيفر »الذي شبه التعليم الثانوي التقليدي بجوقة موسيقية ليس لها رئيس . وقال يحوم الولد حول هذا التعليم بضجر وتبرم بعض الوقت ، ثم ينتهي بان يتعود نظامه ، ويتعود الانسان كل شيء . يستمع الاولاد بخضوع وانقياد في كل الساعات القليلة التنويع والتي تتعب انتباههم ، فتصبح الكلية كالراديو – ساعة اللاتيني ، – ساعة الفرنسي – ساعة الرياضيات ،. . . ولكن ساعة السرور والبهجة وحدها ليس لها موعد ، بارادة الادارة على الاقل ، واما الولد الذي ولد ماكرا ، فانه يحصل عليها ولكن خارج المنهاج .

انفصل التعليم الثانوي عن الحياة الحاضرة ، فشعر الجميع ، التلاميذ والاساتذة والاباء ، بالاضطراب وارادوا جميعاً اصلاحه ، اذ في اصلاحه اصلاح الامة ، لان هذا التعليم هو دائماً قلب الامة النابض وعند التفكير باصلاحه لا بد لنا من ان نستمد وسائلنا من اسباب اضطرابه المذكورة آنفا ، بعد ان نتفهم حقيقته ونضع له حدوده التي بها نعرفه .

تعريف هذا التعليم

فالتعليم الثانوي هو تعليم تكويني يقصد منه رياضة الذهن وتربيته وتعليم النشء كيف يتعلم . فهو اذن للتربية لا للتحصيل ، على حد قول «ونتان الراس الحسن التكوين خير من الراس الملآن» قال دركايم ، وفي الحقيقة ان تكوين الذهن ، هدف التعليم الثانوي الاخير ، لا يكون بتربيته في الفراغ برياضة شكلية ، بل بتمرينه على عادات واوضاع لا يمكن الاستغناء عنها ليتصل بصورة مفيدة بالمظاهر المختلفة للواقع الذي سيعمل فيه ، وليستطيع الحكم الصحيح .

فما هو هذا الواقع ؟ اليس هو هذا المجتمع الخاص الذي سيعيش فيه ؟ اليس هو الحياة الاجتماعية مع ما تنطوي عليه من تعقيد وتركيب وتقلبات ومفاجآت ، من تقدم وتأخر ، وربح وخسارة ونجاح وخيبة ، وعسر ويسر وذل وعز . . . . ؟ اليست هي الاعمال التي نقوم بها من صناعات وتجارة وزراعة ومن اعمال حرة وادارة ووظيفة . . . ؟ اليس هو في الجهود التي يجب ان تبذل والتضحية الواجب تقديمها لمجد الوطن وحفظ كيانه ولرفع مستوى المجتمع الذي نعيش فيه لنهيء له مستقبلا يليق بكرامتنا وتاريخنا ومثلنا العليا ؟ . . . .

ان هذا الواقع الذي هو مظهر الحياة الحقيقية التي يهيأ لها النشء هو المصدر الذي يجب ان يمدنا في وضع المنهاج وعلى ضوء التطورات التي ذكرناها آنفا والمثل العليا التي تسعى الامة لها ، لنكون نشأ يعرف كيف يحسن التصرف وكيف يخضع الحياة بقوة نواميسها .

واصف البارودي

القضية الفلسطينية

بقلم امين ابو عز الدين

اصبحت القضية الفلسطينية الشغل الشاغل للمقامات السياسية العربية واعتبرها زعماء العرب احدى القضايا التي يعول عليهـا في نجاح المشاورات العربية لان فلسطين تشكل عمليـاً الاساس الاول لقيام صرح التعاون بين مختلف بلاد العرب .

فالبرنامج الصهيوني الذي يستهدف استعمار البلاد الفلسطينية يفضي في الدرجة الاولى الى فصم عري القومية العربية لان نمو هذه القومية يتوقف على اتحاد بلادها التي منها فلسطين وشرقي الاردن ومن جهة اخرى فانه يكون خطراً كبيراً نحو الدول العربية وفي مقدمتها لبنان اذ يعرض ارضه لمطامح اليهود في التوسع . يضاف الى ذلك ما هو متوقع من تعرض تجارة بـلاد الشرق الاوسط وزراعتها وصناعتها وكذلك حركة « الترانزيت » وطرق المواصلات لمزاحمة قاتلة تحرمها الثراء التجاري والزراعي والصناعي الذي هو سبيلها الوحيد للحضارة والتفوق ورفع مستوى المعيشة . فليس بالسياسة وحدها تحيى الامم بل بانماء ثروتهـا الطبيعية وتعزيز اقتصادها الوطني . وعليه فلم تعد قضية فلسطين قضية خارجة عن اي بلد من البلدان العربية لا يهمها امرها بل هي كما تبدو في نشاط الصهيونيين خطر يستهدف الاقطار العربية وسائر بلدان الشرق الادنى .

ولا يجوز ايضاً ان ننسى في غمرة هذه الحرب والعالم مضطرب ومستقبله السياسي غير واضح كل الوضوح ان نتبـع في خططنا سياسة عملية تواجه المستقبل قبل حلوله وتقوم في الاكثر على الحقيقة الاقتصادية التي تقينا في الدرجة الاولى طغيان الصهيونيين عددياً وفنياً .

شرح القضية

ان دراسة القضية الفلسطينية تكتنفها عقبات عديدة فموارد البحث مختلفة متشعبة ناهيك عما فيها من التناقض . ثم ان العاطفة التي اثارها اليهود في بلاد الغرب نحو فلسطين قد عملت الى حد بعيد على طمس الحقائق كما ان وقائع الحالة وصورتها الصحيحة قد حجبتها سحابة من الدعاية والاقاويل فبدت كأنها ستار من الدخان قلما ينفذ البصر الى ما وراءه .

قد تكون خير وسيلة لشرح هذه القضية الخطيرة في مقالنا هذا ان نبدأ اولا بمراجعة حقوق ومطالب كل من الفريقين صاحبي العلاقة : العرب ، واليهود .

اولا — العرب : ان حقوق العرب في فلسطين مستمدة وقائمة على واقع تملكهم لها وطيلة زمن قيام هذا التملك دون ما تقطع . وهذه الحقوق تقسم الى قسمين او هي تستند الى ركنين ثابتين

(١) الحق الطبيعي لشعب قاطن مستوطن — تغلب عليه الحياة الزراعية والاستقرار في السكن — في ان يظل مالكاً لارض تربطه وتربط ابناءه بها حقوق الولادة فيها واقامته عليها اقامة متواصلة منذ اقدم العصور .

فالعرب بعد استرجاعهم لبلاد فلسطين من الرومان في القرن السابع بعد الميلاد ، ظلوا فيها حتى اليوم في اقامة متواصلة غير متقطعة . ووجه الصلة القديمة للعرب بفلسطين ترجع الى ما قبل هذا التاريخ . اذ ان كلمة « عرب » لا يقتصر مدلولها او معناها الحديث عـلى القادمين من شبه جزيرة العرب الذين استرجعوا فلسطين من الرومان بل يشمل معناها السكان الاقدمين الذين تزاوجوا مـع الفاتحين واتخذوا لغتهم وعاداتهم وطرق تفكيرهم وصاروا عرباً على الدوام لهم تاريخ وتراث مشترك ان .

(٢) الحقوق السياسية : المكتسبة والمتخلفة عن زوال السيادة العثمانية ومساهمة الجيوش العربية مساهمة فعالة في تقويضهـا خلال حرب ١٩١٤ الكبرى والتي تفرض على بريطانيا العظمى وحلفائها التزاماً في ان تعترف بها وتؤيدها .

ويمكن اعطاء صورة واضحة لا تقبل الشك عن مدى عمليات العرب الحربية في جزيرة العرب وبلاد فلسطين التي ادت الى هزيمة الجيوش العثمانية خلال الحرب العالمية الماضية ، فيما لو عدنا الى الوقائع التي تبين ان الجيوش العربية كانت تقاتل من العثمانيين ما يوازي القوات التي كان يواجهها الانكليز في بلاد العرب كما ان القوات العربية كانت تغطي بنفس الوقت الجناح الايمن للقوات البريطانية في الميدان الفلسطيني وتحمي خطوط مواصلاتها (١)

وجاء بصدد الحملة التركية الالمانية الى شبه جزيرة العرب سنة ١٩١٦ : «قد يصعب المزيد في تقدير اهمية الحملة التركية الالمانية التي كانت تهدد بمفاجأة الاستيلاء على عدن ومهاجمة الصومال . الا ان كل الاستعدادات اسفرت عن لا شيء بفضل الثورة العربية »(٢) .

وفي رأي الجنرال بريمون (Général Brémond) رئيس

---

(١) General Allenby's Despatche & A.P. Wavell the Palestine Compaignes.

(٢) Official History of the War : Military operations in Egypt & Palestine « 1928 » vol. I P. 230

البعثة العسكرية الفرنساوية الى الحجاز : « ان الحملة المذكورة كانت تعرض الحلفاء الى خطر كبير وانه لو قدر لها النجاح لكان من نتائجها اقفال البحر الاحمر وفتح المحيط الهندي امام عمليات حرب المانية .... لكن لحسن الحظ فان الثورة العربية قد قضت على هذه الحملة . ولا شك في انها خدمة عظيمة ادتها لغرض الحلفاء »(١)

واخيراً فان العلامة الكبير المرحوم د. ج. هو كارث احد الرؤساء في المكتب العربي الذي انشأه الانكليز في القاهرة خلال الحرب العالمية الماضية صرح : « ان الثورة العربية لو لم تعمل شيئاً سوى انها احبطت الزحف التركي الالماني الى جنوب بلاد العرب سنة ١٩١٦ لكفى به ديناً علينا اكثر مما دفعناه حتى اليوم »(٢) .

هذه شهادات ثابتة قيمة لبعض الاعمال الحربية التي قام بها العرب من اجل تحرير واستقلال بلادهم . ولديهم البراهين الكافية على ان فلسطين من جملتها . اما بخصوص تعهدات بريطانيا العظمى فان المقاولات التالية تشكل معاً اعترافاً صريحاً بقيدها باحترام حقوق العرب السياسية وتأييدها :

(١) مراسلات مكماهون سنة ١٩١٥(٣)

(٢) وعد صريح بصون حرية عرب فلسطين السياسية والاقتصادية وارد في الرسالة التي حملها الى الملك حسين في شهر كانون الثاني ١٩١٨ المرحوم الكومندور د. ج. هوكارث احد كبار المسؤولين عن المكتب العربي في القاهرة .

(٣) العهد الذي تضمنه تصريح ١٦ حزيران سنة ١٩١٨ الى

---

(١) Marins à Chameau (Paris 1935)

(٢) مجلة سنشوري الانكليزية عدد تموز ١٩٢٠ the Century

(٣) عددها ثماني مراسلات تبادلها الملك حسين بن علي والسير هنري مكماهون معتمد بريطانيا العظمى في مصر في ذلك الوقت . تاريخ الاولى ١٤ تموز سنة ١٩١٥ وهي من الملك حسين والاخيرة من السير مكماهون وتاريخها ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩١٦ طلب الملك حسين في الاولى من هذه الرسالات ان يكون من جملة حدود الدولة العربية لجهة الغرب ، البحر المتوسط – اي من البحر الاحمر في الجنوب الى مدينة مرسين في الشمال – . وقد اجيب بالموافقة على طلبه لسائر الحدود الشمالية والشرقية والجنوبية دون تعديل حسب الرسالة الرابعة من السير مكماهون – ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ لكنه استثنى مدينتي مرسين واسكندرونه وبعض الاراضي السورية الواقعة الى غربي الاقضية او النواحي المحيطة بمدن دمشق وحمص وحماه . والواضح ان المقصود من هذه الاراضي ما هو معروف اليوم بالجمهورية اللبنانية وبلاد العلويين السورية ولا يشمل ذلك بلاد فلسطين لانها لاتقع الى الغرب من الاماكن المذكورة بل هي ما وراء حدودها الى الجنوب . ولهذا فتكون فلسطين داخلة ضمن حدود الدولة العربية التي طالب بها الملك حسين وتعهدت بريطانيا العظمى بالاعتراف بها بموجب هذه المراسلات .

سبعة من المشتغلين بالقضية العربية وجدوا في ذلك الحين بالقاهرة (١)

هذه هي الوعود التي وثق بها العرب فالقوا بنصيبهم مع الحلفاء ومشوا بجانبهم سعياً وراء تحقيق امانيهم الوطنية وحفظ كيانهم .

ولا بد ايضاً قبل الانتهاء من بحث حق العرب بفلسطين ان نضيف الى التعهدات المذكورة آنفاً الفقرة التالية من خطاب مونت فرنون الذي القاه الرئيس ولسن في ٤ تموز سنة ١٩١٨ وفيه وضع المبدأ التالي كأحد الاهداف الاربعة الكبرى التي تحارب الشعوب المشتركة من اجلها – ومن جملتهم الشعب العربي – : « ان تسوية كل مسألة سواء كانت بشأن قطر ام سيادة ام تنظيم اقتصادي ام علاقة سياسية يجب ان ترتكز على اساس حرية قبول الشعب صاحب العلاقة المباشرة وليس على اساس المصلحة المادية او انتفاع امة او شعب آخر يرغب في تسوية مخالفة من اجل بسط نفوذه الخارجي او تسلطه » .

فاذا كانوا يتحرون هذا المبدأ بجرية وذهن طليق خال من الغرض وكان الميثاق الاطلسي سيحكم بسلم عادل دائم للمستقبل وكانت رغبات العرب هي الحاسمة فيما يقرر بشأن قطرهم فلسطين فلا يعود من مجال او واسطة لتنفيذ البرنامج الصهيوني وتبقى فلسطين لاهلها الاصليين وسكانها الوطنيين .

ثانياً – اليهود : ان الحقوق والادعاءات التي تتقدم بها غالباً الصهيونية السياسية (٢) هي من نوع مختلف ولدى فحصها وغربلتها

---

(١) هم : – رفيق العظم ، كامل القصاب ، فوزي البكري ، عبدالرحمن الشهبندر ، خالد الحكيم ، مختار الصلح ، حسن حماده . وقد تسرب الى مسامعهم خبر تصريح بلفور واتفاقية سيكس بيكو فتقدموا بمذكرة الى وزارة الخارجية البريطانية بواسطة المكتب العربي يطلبون فيها تفسيرا صريحاً لسياسة بريطانيا العظمى نحو البلدان العربية . وقد رفعت هذه المذكرة في حينها الى لندن . وعندما جاء رد وزارة الخارجية في ١٦ حزيران سنة ١٩١٨ دعي اصحاب المذكرة الى مركز القيادة العليا بالقاهرة حيث قرأ عليهم الرد بالانكليزية المستر ولروند من مصلحه الاستخبارات وقد جاء فيه ما معناه ان جميع المناطق التي كانت مستقلة قبل الحرب او حررتها الجيوش العربية في اثنائها فان الحكومة البريطانية تعترف باستقلالها وسيادتها دون قيد ولا شرط اما المناطق الاخرى والتي حررتها جيوش الحلفاء فسياسة بريطانيا نحوها هي تقرير مصيرها حسب مشيئة سكانها الوطنيين ومحض اختيارهم وكان من هذه البلدان فلسطين التي احتلتها الجيوش الانكليزية قبل ذلك التاريخ .

(٢) الحركة الصهيونية على نوعين روحية وسياسية . فالاولى ينحصر عملها في الميدان الديني والتهذيبي ولا خطر منها في الميادين الاخرى . اما الثانية فعملها سياسي بحت ونشاطها موجه نحو انشاء دولة يهودية بفلسطين ذات سيادة . وهذا ما نقصده بتعبيرنا الصهيونية السياسية وهي ما يحاربه العرب بكل قوام .

لا يبقى منها ما يصح اخذه بعين الاعتبار . واهم هذه الادعاءات ما سنقوم بشرحه فيما يلي بقدر ما يفسح المجال من تفصيل .

(١) الصلات التاريخية : ترى الصهيونية في هذه الصلات حقاً يخولها رجوع اليهود الى البلاد التي سكنوها قديماً . الا ان اليهود القدماء لم يثبتوا في فلسطين ولا كانت مهداً لهم ، لكنهم طرأوا عليها قادمين من الخارج كغيرهم من الشعوب الاخرى الغريبة عنها . وقد قاتل اليهود الفلسطينيين في حروب طاحنة الى ان اغتصبوا من البلاد قسما نزلوا فيه مدة من الزمن محدودة ثم خرجوا كما دخلوا . وقد مضى على خروجهم هذا ما يقارب الالفي سنة ولم يبق لهم سوى صلة روحية تربطهم بفلسطين كما تربط غيرهم من سائر الاديان او كما تربط المسلمين بمكة المكرمة والكاثوليك بمدينة الفاتيكان وبعيدة كل البعد عن حق التملك والافضلية الاقتصادية وغيرها من الحقوق التي كان اليهود اول من زعم انه بامكانهم المطالبة بها . لذلك يتضح انه ليس للصهيونية السياسية اليوم اي مسوغ من ناحية التاريخ للاقامة في فلسطين كأمة لها حق دائم .

والامر الذي يجب توكيده ايضاً هو ان العلاقة التاريخية لا تعطي حقاً لامتلاك ارض مأهولة ، ولاهلها ان يضيفوا الى علاقتهم التاريخية التي هي اقوى واصح من علاقة اليهود علاقة السكن الدائم والتملك الجاري التي لا يمكن فصمها .

وبقطع النظر عما تقدم ، فأي قانون انساني او شريعة بشرية حديثة او قديمة تبيح هذا الادعاء ، وتعترف بشرعية مثل هذه المدة السحيقة التي انفصل ماضيها عن حاضرها ، وكيف تكون حالة امم الارض لو اخذت بهذه النظرية الغريبة حتى نفس الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة .

(٢) مساعدة اليهود للحلفاء : وقيل ايضاً ان الصهيونية السياسية تستند في ادعائها بفلسطين الى المساعدة التي قدمها اليهود للحلفاء اثناء الحرب العالمية الاولى والوعود التي قطعوها لهم مقابل ذلك . فاذا كان لهذا الادعاء من اساس صحيح فكان من الواجب ان لا تكون مكافأة الحلفاء لليهود على حساب عرب فلسطين سكانها الاصليين والذين كانت نسبة عددهم فيها عند انتهاء الحرب تسعين في المئة بينما اليهود لم تتجاوز نسبتهم الثمانية بالمئة . ولما كان العرب يقدمون اجل الخدمات للحلفاء خلال تلك الحرب وكان لهم نصيب كبير في تحرير فلسطين كما مر بنا آنفاً فان ما ادعاه اليهود من مساعدتهم للحلفاء لم تأخذه المصادر العليمة بعين الاعتبار ولم يكن فيها من تضحية او خسارة تذكر في الارواح . ولو فرض صحة ادعائهم هذا فقد قاموا بمساعدتهم المزعومة للحلفاء كمواطنين للبلاد التي حضنتهم . على ان اكثر ما زعموه من خدمات كان في ميدان الصناعة والتجارة الذي نالوا فيه ارباحاً مالية طائلة ولا يصح للحلفاء ان يكافئوهم بارض لا تخصهم ولم يتقرر مصيرها .

(٣) تصريح بلفور : هذا التصريح هو ما تتسلح به الصهيونية السياسية لتنفيذ برنامجها الاستعماري في فلسطين ونظراً لاهميته وكونه المحور الذي تدور عليه القضية الفلسطينية فاننا سنخصص له الجانب الاكبر مما يتبع لبحثنا هذا عن القضية الفلسطينية في العدد المقبل من مجلة الاديب .

(٤) موقف اليهود الحرج في اوربا : ان العاطفة التي اثارها اضطهاد اليهود وموقفهم الحرج في اوربا قد ساعد زعماء الصهيونيين على متابعة طلبهم لانشاء دولة يهودية في فلسطين يهاجر اليها اليهود حيث يعيشون بسلام وحرية وفي ظل حكومة ذاتية . لكن وجه الصعوبة والنقطة الحساسة في البرنامج الصهيوني هذا انه ينظر الى فلسطين دون غيرها على انها البلد الوحيد الذي يقبل به اليهود لانشاء دولتهم .

ان قضية اليهود المضطهدين منفصلة تماماً عن قضية الصهيونية في فلسطين . فبينما ينقم العرب على المعاملة السيئة والاضطهاد القاسي اللذين يلقاهما اليهود في اوربا المحتلة ، لا يرون بوجه من الوجوه مبرراً لان يعتبر هذا الاضطهاد سبباً لاضطهادهم في بلدهم الفلسطيني . فليس هنالك من شريعة انسانية تبرر اضطهاد شعب آمن ساكن في بلاده من اجل المحاولة لانقاذ شعب آخر من الاضطهاد .

ان من الواجب التطلع الى غير فلسطين لانقاذ اليهود من المحنة الواقعة بهم اذ ان فلسطين اقل من ان تتسع لزيادة جديدة في السكان كما انها قد تحملت اكثر من نصيبها وبقاع الارض واسعة لسكنى اليهود وتخليصهم من محنتهم .

هذا ما يتسع له المقام هنا لشرحنا اسباب القضية الفلسطينية ومقدماتها . وليت شعري متى كان لغريب ان يعترض صاحب حق وينازعه حقه فيما يملك عرفاً وشرعاً وقانوناً . الا قاتل الله السياسة وطمع انسان هذا العصر وقيض لعالم الغد بعد الحرب سلاماً عادلا دائماً يعود فيه الحق الى نصابه والانصاف الى محرابه .

وفي العدد القادم سيتناول البحث تصريح بلفور ومنزلته من الوعود والتصريحات التي لدى العرب ثم نفوذ اليهود العالمي وضروب دعاياتهم واخيراً السبل والظروف التي يمكن ان تؤدي الى حل هذه القضية وانصاف السكان العرب .

العبادية   امين محمد ابو عز الدين

ريح الشمال

سالت وقد مرت الشمأل ... تنوح وآونـةً تعولُ
الى ايمـا غاية تركضين ... الا مستقرٌ ؟ الا موئل
وكم تعولين وكم تصرخين ... كعصفورة راعهـا الاجدل
لقد طرح الغصن اوراقـه ... من الذعر واضطرب الجدولُ
وضل الطريق الى عشه ... فهـام على وجهه البلبل
وغطى السهى وجهه بالغمام ... كما ينزوي الخائف الاعزل
وكادت تخر لديك الهضـاب ... وتركض قدامك الاجبـل
أبنت الفضاء اضاق الفضاء ... فانت الى غيره اميـل
اغاظك ان الدجى لا يزول ... وان الكواكب لا تأفل
اتبكين آمالك الضائعات ... هل الريح مثل الورى تأمل
ايعدو وراءك جيشٌ كثيف ... امثلك يرهبه الجحفـل
وما فيك عضو ولا مفصل ... فتقطع اوصالك الانصل
فجاوبني هاتفٌ في الظلام — ... غلطت فما هذه الشمألُ
ولكنها انفس العابرين ... تجوس الديار ولا تنزل
فقلت اينهض من في القبور ... وفوقهم الترب والجندل
اجاب الصدى ضاحكاً ساخراً ... الى كم تحـار وكم تسأل ؟
وترفع عينيك نحو السماء ... وليست تبـالي ولا تحفل
من البحر تصعد هذي الغيوث ... وتهطل في البحر اذ تهطـل
وفي الجو ان خفيت نسمةٌ ... وفي الارض ان نضب المنهل
لقد كان في امس مـا قبله ... وفي غده يومك المقبل
عجبت ابالك على اولك ... وفي الآخر النـائح الاول
همُ في الشراب الذي نحتسي ... وهم في الطعـام الذي نأكل
وهم في الهواء الذي حولنـا ... وفي ما نقول ومـا نفعل
فمن حسب العيش دنيا واخرى ... فذا رجـلٌ عقله احول

بروكلن — نيويورك

ايليا ابو ماضي

لمـــــاذا اعيش مجهـــولا ؟؟

تعريب عبد اللطيف شراره

☆

كان يعيش في اوربا الوسطى ، الى بضعة عشر سنة خلت ، شخص غريب الاطوار ، تتناقـل الاندية الادبية اسمه ، وتشيد الصحف بمؤلفاته وكان لهذا الكاتب ، محام برافع عنه في قضاياه ، وناشر بطبع كتبه ، ومتمول يعنى بشؤونه المالية . ولكن احدا من هؤلاء او غيرهم ، لا يذكر انه رآه او اجتمع به او عرفه ، على توثق صلته بهم وصلتهم به . . . والى ذلك فهو مؤلف مسرحي من الطبقة الاولى ، واسمه فرديناند بروكنر . . . وفيما يلي مقالة له ، كتبها يوضح بهـا اسباب تنكره ، وعلل تحاشيه للتعرف بالنـاس ، او تعرف الناس اليه :

كثيراً ما ندعي اننا نعرف شخصاً ما معرفة تامة ، استناداً منا الى اجتماعنا به او لقائه اغلب الاحيان ، حتى اذا عثرنا مصادفة ، بعد سنين ، على بعض من وسائله الخاصة ، التوى الامر علينـا فجأة ، وطالعنا ذلك الشخص بوجه جديد لا نعهده . . ذلك اننا نعطي لكل امرىء وجهاً نصوره به ، اما وجهه الحقيقي فهذا ما لا وجود له في حيز الاجتماع البشري . . .

اننا لا نفكر بذلك ابداً ، بل لا نتذكر هذه الحقيقة ، الا عندما نقع على ظاهرات واعمال تختص بهـا العلوم الطبيعية ، وتقلب جميع الافخاخ التي تنصبها القيافة والفراسة ، ثم تردنا عـلى اعقابنا نفكر في اخطائنا وتقديراتنـا السالفة . . .

واننا لنحسب ايضاً فيما نحسب ، ان الذين يحيطون بنـا من الناس يروننا بالعين التي نرى بها انفسنا . وهذا هو مصدر الجزع الذي يتملكنا حين ينتصب امامنا الشخص الذي يفترضه الناس في شخصنا . و « الرأي » الذي يتكون في ذهن المحيط عنا ، لا يرتكز في كثير او قليل ، على حالة الاشياء الحقيقية التي تمس حياتنـا ، وانما قوامه اكداس مكدسة من سوء التفاهم ، وركام من التآويل الباطلة ، والاستنتاجات المغلوطة ، والمصادفات العابثة . . .

فاذا حدث لشخص ان كان قليل الاحتفال بالتوافه ، او تنقصه البراعة في اجتذاب القلوب ، وسلم فكان سلامه سريعاً يتساءلون : « ماذا يظن نفسه هذا ؟ » ، او متمهلاً مترفقاً : « تأمل تأمل ، ماذا ينتظر منا ؟ » . . . واذا رفض دعوة ما تقول في نفسك : « انه ينتظر ان ادعوه مرة ثانية ؟ » . واذا دعا احداً دعوة خاصة يفكر المدعو : « متى كانت بيني وبينه هذه الالفة ؟ » واذا موزح في موقف ولم يجب يخطر لك : « سيكر علي في غارة اخرى » . . . وهكذا فان هذه الدقائق البسيطة ، تأخذ في نفوس الناس ردود فعلها ، وتكون عنه في اذهاننـا رأياً نحافظ عليه بعنـاد ، ونأبى النزول عنه والاقتناع بما يخالفه . . . وما ذاك الا لان هذا الرأي يروقنـا ، ويسد في انفسنا حاجة انسانية وهي ان نجد لنا في النوع البشري دائماً مثيلاً نشهر بنقائصه ونتعرض لكرامته . . . وان هذه الحاجة لتبلغ اشدها ، حين يلتقي اثنان ، ويتفقان على حساب ثالث .

ان الرجل الذي لم يجد في الحياة ما يشغل تفكيره ، والذي يحسب ان قاعدة وجوده قائمة في هذا السؤآل : « كيف تعمل لحل هذا المشكل » ، والذي تتداخل وظائفه فيما بينها تداخلاً محكماً كما تتداخل دواليب الساعة ، لهو في أمس الحاجة الى لقاء من يحدثه عن عورات الناس ومشاكلهم . . . هـذا هو المخلوق الذي يعيش بصورة آلية ، وهو الوحيد الذي يمثل المغامرة الكبرى ، ولكنه يعطينا مثلاً حياً عن الفكر المخنث الكسول حين يستيقظ وكيف يستيقظ ذلك الفكر البعيد عن التطلع الى الآفاق البعيدة الرحبة ، في ذات الوقت الذي يحسب نفسه انه يخدم الحياة ويفيدها .

اما النفس الفعالة ، الآخذة دائماً باسباب العمل ، كنفس الحب

مثلاً ، فانها لا تعطي رأيها في الاشخاص الا نادراً . وما ذاك الا لانها لا تملك من الوقت ما توجيه في هذه الناحية ولكن من النادر ايضاً ان تلتقي هذه النفس ، هذا الشخص الجذاب اللطيف لذي لا يهاجم احداً ، ولا يعتدي على احد والذي يحسده كل من يعرفه معرفة حقيقية   بل انت لا تلتقي اغلب الاحيان غير ذاك المخلوق ؛ لا تلتقي غيره قط .. تلقاه ، وهو مثال الرجل العصري ، يتراءى لك ابداً مهتماً منهمكاً مرهقاً بالعمل ، على انه في الواقع خامل كسول ، يحس في اعماقه بالحاجة اليك ، والى ثالث ، كما هو في حاجة الى خبزه اليومي .

هذا هو « الشيك » العصري الذي يشرب نخبك في نفس الوقت الذي يستكشف به عيباً من عيوبك المتوارية عن الانظار ... ذاك هو الذي تجده في كل مكان ، ويناديك من بعيد عندما تكون مشغولا تود ان تمر به على عجل . فاذا لم تتماسك ، ولم تشعره انك مأخوذ بلقائه ، مشوق لرؤيته يخترع لك الف حجر عثرة ليوقعك في الطريق !

ولكن هذا « الرأي » الذي تكونه عنك حاشيتك ومعارفك ، ليس الا لعبة صبيانية ، يشبه « الرأي العام » في قضايا الحياة الكبرى الا قليلاً ، اي حين تكون اعمالك في طبيعتها من النوع الذي تقع عليه انظار الاكثرية ... وهنا لست سجين بضعة عشر من مواطنيك فحسب ، وانما انت سجين آلاف من الافراد ارغمتهم ، بحكم مركزك من حياتهم ونفوذك فيها ، ان يولوك العناية والاهتمام ، انت سجين الهواء الذي تنشقه ، وزيراً كنت او ناطوراً ، فأنت جزء من مادتهم الروحية ...

وانهم اذ يولونك انتباههم ، ويلتفتون الى شؤونك ، يريدون منك ان تكافئهم ، اي تترك لهم الحرية ان يلبسوك كما يختارون وان يمثلوك للناس كما يحبون ؛ وعندئذ يعطونك الجم الذي يروقهم ، فاما ان يغالوا في العطف عليك ، واما ان يكرهوك . او بين ان يقسموا لك يمين الولاء ، او يهرقوا دمك ؛ فاذا استوقفتهم واسترعيت اهتمامهم في معركة سياسية ، او سهرة مسرحية ، لا يسرون ابداً بما ارتضيت ان تعطيهم ، بل تراهم يبحثون عما وراء العمل . فانه يشوقهم اكثر من العمل نفسه ، واذا بهم يحاولون ان ينفذوا الى صميم كيانك الداخلي ، ويفتشون الخبايا ، ليطلعوا منها على النواحي الشخصية ، وبالتالي على ما يشبهونك به ، وليخلصوا من هذه الفكرة التي تحز في نفوسهم وهي انك ، ربما كنت من جوهر اسمى من جوهرهم .

وتلك عاطفة طبيعية في الانسان ، فقد كانت تغمر كياننا منذ كانت الصاعقة إلهاً ، وكانت جماهير داروين الاولى تعمر الارض ، وقليلاً ما يحتمل التخلص منها ، والتحرر من نيرها ، فانها قائمة في نفوس ذوي المواهب العالية ، والاذهان النيرة كما هي ماثلة عياناً في نفوس الآخرين ... هذي هي الغريزة الاجتماعية الاولى ، وهي التي انتجت وهم « الانسان الاعلى » الذي لا يتاح لنا ان نعيش بدونه ...

وحقيقة الامر ان العمل لا يخبىء وراءه شيئاً ، فان العامل يكشف به نفسه . واذا قلنا ان الشخصية تختبىء وراء الشخص كنا اقرب تناولا للحقيقة . وان لمن افن الرأي وخطل المنطق ان نعتقد اننا نعرف شخصية كاتب ما لاننا نعرف شخصه ...

اننا لا نعرف شخصيته ما لم ندرس مؤلفاته وآثاره حيث تكمن على حقيقتها كاملة عارية ... فانه بمقدار ما يتعلق بالحياة ، وتستهويه تهاويلها ، يعيش منعزلا عن الحياة ، بعيداً عن الناس ، فهو بذلك شبيه بالعاشق الذي لا نراه في مكان وجميع اعماله حب وتضحية .

واخوف ما يخاف الاديب على نفسه ، اخطار نقاط الضعف التي يعرفها فيها ، لان من طبيعة الانسان ان يترك نفسه تنساق في مظهر الشخص الذي يظهر به ، هاجراً رويداً رويداً الشخص الذي يجب ان يكون ، ذاك الشخص الذي يعبر غالباً عن حقيقة شخصيته ، ولكن لا يستطيع ان يبلغ مستواه والنوع الانساني يتألف في اكثريته ، من افراد لم يتوصلوا الى مستواهم الحقيقي ، وقد اوقفتهم عن بلوغه نقائض الحياة ، وسوء التفاهم .

فاذا كانت مؤلفات كاتب ما تشهد انه مشبوب العاطفة ، ذو طبيعة عنيفة متهورة ، فثق ان صاحبك متقد الاهواء ، عنيف متهور حتى ولو كان في مجرى حياته يمثل شخصاً اعسر مقطب الوجه صموتاً مضجراً ، فالشخص الذي تراه يلبس ثوباً ، ولكنه عار في مؤلفاته ...

واذا اطلعت على كاتب يتعبك ويضجرك في ما يكتب ، ولكنه يستميلك ويخلب لبك حين تجتمع اليه ، او تسمعه على

منبر، او في نادي سمر، فتأمل ملياً هذا الرقيق الذي تحسبه دون جوان، تجده متعجرفاً فخوراً، وتجد ان ذاك الكريم المسماح في الفاظه وتقعراته ليس الا كزاً بخيلا ... في اعماله وتصرفاته!

ولكن لا بد وان تدق ساعة الحقائق في ظرف من الظروف، او في موقف من المواقف، حيث تنكشف الشخصية المحجبة، ويرتفع الستار الخارجي، واذا بالمشعوذين يضيعون كل ما لديه من طرق ووسائل، وينفرط عقد شعوذتهم المنسوج على طول الايام من الاوهام والاضاليل ... حينئذ تقف ذاهلا، ولو حدثوك عنه لما صدقت من امره شيئاً. ثم تنسى انك انت الذي تعودت حركاته وسكناته وركبت في ذهنك عناصر شخصيته الموهومة، وتداعت على مرأى منك اوهامك التي بنيتها حوله، وادركت - ولات حين ادراك - انك انت الذي اعطيته في نفسك هذه القيمة وتلك الصورة. لقد كنت تخلط بين الشخص والشخصية، في نفس الوقت الذي كان يفرض على شخصيته التواري عن الانظار، والاختباء وراء المظاهر.

والواقع ان ما من حياة في الحياة الا وهي مجهولة ... ان حياتك راسبة في آثارك التي تخلفها، ولا تظهر حقيقتها الا في اعمالك ونتائج اعمالك. انها كامنة فيك، وفي هذه المجموعة من اصدقائك الذين كانت صداقتهم حادثاً واضحاً مؤثراً في نفسك، فانك اثناء ائتلافك معهم استطاعوا ان يتملوا من صورة شخصيتك الحقيقية. ولكنهم وحدهم من بين الناس اجمع، هم الذين استطاعوا ان يبصروها .. حتى اذا فصلهم عن حياتك الداخلية فاصل، انقلبوا حالا، واصبحوا في عداد الذين يجهلونك، ثم يأخذون في تصويرك كما يروق لهم، ويتنكرون لك، وذاك داء ليس له دواء.

يجب ان تنتظر اليوم الذي تغيب فيه عن هذا العالم، فلاتسبب سوء تفاهم بينك وبين الناس، يجب، على كل حال، ان تنتظر اليوم الذي تظهر فيه اعمالك، ويظهر تأثيرها في الناس، ويظهر ما قدمته شخصيتك للحياة، وتصبح فعالية حياتك شيئاً محسوساً يتغذى به المجتمع.

يومئذ فقط، يصبح الناس قادرين على تذوقك وهضمك...

بنت جبيل **عبد اللطيف شراره**

الاديب

✯

- لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير).
- تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي:

في سوريا ولبنان: ١٢ ليرة لبنانية.

في الخارج: ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

- الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد
- احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف.
- تدفع الادارة خمس ليرات لبنانية ثمن النسخة الواحدة من الجزء الاول والجزء الثاني من السنة الاولى ١٩٤٢ وثلاث ليرات ثمن الجزء التاسع من نفس السنة. وتدفع ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الاجزاء الاول والثالث والسادس من السنة الثانية ١٩٤٣ وتدفع ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثالث من السنة الثالثة ١٩٤٤
- المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر.

★

ادارة الاديب: شارع الاحرار، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها: البير اديب

سكرتير التحرير: بهيج عثمان

المدير الفني: مختار تملي

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت - لبنان

الحرير الصناعي

✶

يرتدي نصف الناس الذين تصادفهم البسة مصنوعة من الخشب ٠قد يظهر لك لاول وهلة ان هذه العبارة خيالية ولكنها تنطوي على الحقيقة كلها. ولو لم يكن اكثر الناس محافظين بالوراثه فيما يتعلق بألبستهم لكانت هذه النسبة اكبر دون شك .

في اثناء السنوات العشرين الماضية احدث الحرير الصناعي انقلاباً في العالم المتمدن : فكثيرات من النساء لا يحلمن بارتداء جوارب من اي نوع آخر ، وثمانون بالمئة من فساطين السهرة والرقص التي نشاهدها معروضة في الاسواق مصنوعة منه .

حتى الرجال ، مع شدة محافظتهم ،يميلون الى استعمال هذه المادةالعجيبة وهم يستهلكون منها مقدارا كبيرا يفوق شعور بعضهم به .

فالقمصان القصيرة الاكمام ، والمفتوحة عند العنق الخاصة بالالعاب الرياضية ، التي استرعت انتباه الشبان من الجنسين ، يمكن ان تصنع من القطن ، ولكنها في الواقع تصنع من الحرير الصناعي بدرجة اكبر .

ولم يقتصر استعمال خيط هذا النوع من الحرير على الالبسة فقط، بل انه غزا المنازل ايضاً . فالكراسي والوسائد والارائك تغطى به ، والستائر الحريرية تزين النوافذ وتفرش به الموائد . كما يمكنك ان تغطي نفسك باغطية من الحرير الصناعي ، وان تغطي فراشك اثناء النهار بغطاء منه . وعلى الجملة لا يوجد صنف من الاصناف المحاكة لا يمكن ان يصنع منه .

جميع هذه الاصناف ، او معظمها ، تصنع من الخشب : هذا الخشب الذي يملأ غابات كندا مثلاً ، والذي يقطع منه كل عام الوف الاشجار العالية ، لتصنع منها القساطين والجوارب والالبسة الداخلية ومفروشات الاغنياء والمتوسطين في جميع انحاء العالم .

وعلى هذا فقد برزت الى الوجود صناعة ثقيلة . فقد كان الحرير الصناعي منذ خمسين سنة مجهولا الا عند بعض المخترعين القلائل . وحتى هؤلاء لم يكن باستطاعتهم في ذلك الوقت ان ينتجوا منه الياقاً وخيوطاً يمكن استثمارها تجارياً .

واما اليوم فيزيد الانتاج العالمي للحرير الصناعي عن خمسمائة مليون ليبرة . وهذا يعني ان هذا الانتاج هو خمسة اضعاف انتاج الحرير الطبيعي .

الالبسة والورق

قد يظهر لك ان هناك علاقة بسيطة بين الورق والحرير الصناعي ، مع ان هذه العلاقة في الحقيقة قوية جدا . فكلاهما يصنع من نفس المادة، واكتشاف صنع الورق من الخشب لم يكن الا خطوة نحو صنع الثياب منه .

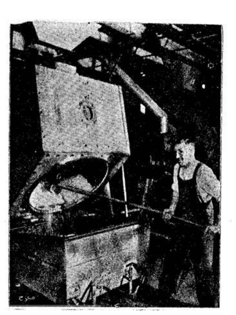
في عام ١٨٤٦ اكتشف العالم الكيماوي الالماني شونباين ان النيترو سللوز nitro cellulose ،المعروف بقطن المدفع ، يمكن ان يستعمل كمادة متفجرة . وهنا قد تظهر لك العلاقة بين المتفجرات والحرير الصناعي اضعف من علاقته بالورق . ولكن المواد الخام المستعملة في هذه الاصناف كلها واحدة وطرق صنعها متشابهة .

ويعود الازدياد السريع في انتاج الحرير الصناعي بعد الحرب العالمية (١٤ –١٨) الى ان كثيرا من المعامل الكيماوية ، بعد ان انقطعت الحاجة الى المتفجرات ، حولت الى معامل لصنع الحرير الصناعي كي تستهلك المواد الخام التي كانت في حوزتها من جهة ، ولكي تجد عملًا لعمالها وموظفيها من جهة اخرى .

وقد كان جورج اودمارس السويسري اول من سجل حقه في صنع الحرير الصناعي . وكان يدين في صنعه للعالم الالماني شونباين بشيء كثير . فقد اخذ اودمارس القشر الداخلي من شجر التوت وعدة اشجار اخرى، وغلاه في السودا ثم اضاف اليه الصابون والكلس . ثم اذاب الالياف المبيضة في حامض النترات nitric acid والكحول والاثير التي اضاف اليها محلولا من المطاط . وكانت طريقته في سحب الخيطان ان يغمس ابرا في المزيج وظيفتها ايصال الخيطان في آلة لافة .

ولكن هذه الطريقة لم تسفر عن اي خيط تمكن حياكته . وجرب بعده ادوارد هوجز فلم يفلح . وكان العالم الفيزيائي الانكليزي السير جوزف ولسن سوان ، الشهير في تاريخ التصوير والكهرباء ، اول من حالفه الحظ في اكتشاف هذا الخيط ، اثناء احدى تجاربه عام ١٨٨٣ ، وذلك بقذف محلول من النيترو سللوز المغموس في حامض الخل acetic acid في ثقب صغير الى كمية من الكحول حيث يتجمد . وادرك قيمة هذا الخيط في صنع الثياب فسجل اختراعه وعرض انواعاً من الحصر واشياء اخرى مصنوعة من هذا الحرير الصناعي في المعرض الذي اقامه عام ١٨٨٥ كما اتخذ بعض التدابير لاستغلاله تجارياً .

ولكن السير جوزف سوان لم يكن يعنى بصناعة الحياكة عنايته بالكهرباء . وفي هذه الاثناء كان الرجل الذي يجب ان يعتبر ابا الحرير الصناعي قد سجل اختراعاً له في فرنسا وكان هذا المخترع كونت هيلير



يتغير لون اللباب الابيض عند احتكاكه مع ثاني سلفيد الكاربون الى احمر - برتقالي ، ويصبح سللوز كزنتات

دي شاردونه الذي جاء اختراعه بعد تجارب ثلاثين عاماً .

وهنا ايضاً تبين الحوادث كيف ان الصدف قد لعبت وتلعب دوراً كبيراً في تقدم الاختراع . فقد قيل ان شاردونه غمس يديه في مائع من كحل callodion كان يستعمله لاغراض تصويرية . وقد مط اصابعه ولاحظ لساعته ان هذا الكلوديون قد كون خيطان دقيقة .

وقد اثارت هذه الملاحظة فضوله وقادته الصدفة السعيدة هذه الى اكتشافات اخرى ، فسكب على الارض جرة من الكلوديون وتركها الى الصباح فرأى انها كونت «خيطان دقيقة تشبه الحرير» .

واسس شاردونه دراساته على طريقة دودة الحرير . فلاحظ انها كانت تعيش على اوراق التوت والبلوط التي يؤلف السللوز القسم الاعظم منها . وان الحرير الذي تنتجه الدودة ينبعث من جسمها خلال ثقبين صغيرين سائلاً لزجاً لا يلبث ان يجمد حال تعرضه للهواء .

وبعد ان درس شاردونه جميع تفاصيل هذه الطريقة الطبيعية شرع في تقليدها بطرقه الكيماوية . وكانت المشكلة في ان يذيب السللوز ثم يدفعه في ثقوب صغيرة جداً ، وفي ان يعرضه بعدئذ للهواء حتى ينقلب صلباً .

وقد تقيد شاردونه بتقليده للدودة لدرجة كبيرة حتى انه حصل على السللوز من اوراق شجر التوت وبعدئذ من جذوعها اذ ثبت له وفرته فيها وجودته . وحول اللباب الى نيترو السللوز واذا به في الاثير الناتج عن الكحول وقذف به في ثقوب صغيرة الى هواء حار جمد هذا المحلول وجعله الياقاً يمكن ان تحاك الى انسجة .

اربع طرق لصنع الحرير الصناعي

اما اليوم فتوجد اربع طرق مختلفة لصنع الحرير الصناعي . اولها طريقة شاردونه التي اوضحناها آنفاً . وثانيها طريقة امونيوم النحاس cuprammonium وثالثها طريقة الاستات acetate ورابعها واقلها كلفة الطريقة اللزجية (viscose process) والحرير المصنوع بها قد استولى على ما يقرب من تسعين بالمئة من اسواق العالم . وهو يصنع من لباب الاخشاب الكندية ، مع ان الاخشاب السكندناوية هي التي كانت تستعمل في الاطوار الاولى لهذه الصناعة . وفي الحق فان قصة تحويل الاخشاب الى البسة هو احد البراهين الساطعة على عبقرية الانسان وقدرته على تحويل عطايا الطبيعة الى اغراضه الخاصة .

بعد ان تقطع الاشجار من جذوعها تدفع على النهر الى مطاحن اللباب حيث تجرد من قشورها وتقطع الى قطع صغيرة ثم تغلى في مواد كيماوية لازالة صموغها ، وبعدئذ تغسل وتبيض وتطهر . ويحتاج الخشب بعدها الى تسع عمليات مختلفة قبل ان ينقلب الى سللوز صاف .

ولنقل هذا السللوز الذي هو الان مادة هلامية (جلاتينية) ، عبر البحار ، يجفف فوق اسطوانات محماة على البخار الى ان يشبه اوراق النشاف السميكة ، ثم يقطع الى صحائف sheets ويوضع في رزم تلف بالخيش .

وحين وصوله الى مصانع الحرير الصناعي تقطع الصحائف الى قياس خاص ، ثم تكال وتوزن في احوال خاضعة للرقابة الشديدة . فيعدل الوقت ودرجة الحرارة ومبلغ الرطوبة في الجو تعديلاً مضبوطاً . وبعدئذ تغمس الصحائف في مغاطس طويلة تحوي محلول هيدروكسيد الصوديوم sodium hydroxide المعروف عادة بكوستيك الصودا caustic soda ، والذي يذيب جميع المواد غير المرغوب فيها ، ويتجمع السللوز الجيد ليكون ما هو معروف اصطلاحاً بقلي سللوز alkali cellulose

وعندما تتم هذه العملية يزال كوستيك الصودا وتعصر المكابس المائية الصحائف فتجففها ثم تحمل الى اوائل السحق فتطحن الى ما يشبه فتات الخبز بواسطة شفرات لولبية ذوات اسنان ضخمة تدور على شفرات اخرى ثابتة .

وبعد مضي ما يقرب من الساعتين على عملية التفتيت هذه ، يفرغ اللباب المطحون في صفائح كبيرة من تنك ، وينقل الى المستودع حتى يتم تأثير كوستيك الصودا الكيماوي في السللوز الذي يستغرق اربعاً وعشرين ساعة او تزيد .

وبالتالي يوضع هذا اللباب المطحون في صفائح اخرى من التنك مسدسة الاضلاع لتحتك بثاني سلفيد الكاربون carbon bisulphide بنسبة ٦٠ بالمئة للباب ، وعندئذ يحدث تبدل غريب . فان الفتات الابيض ينتفخ ويتحول في بضع ساعات الى كومة هلامية (جيلاتينية) حمراء برتقالية تعرف ب سللوز كزنتات cellulose xanthate .

ثم يعاد هذا الكازنتات الى آلات المزج ، في كل منها مجموعة من المقاذيف تدور في الماء . ويذوب الكزنتات وينتج محلولاً يشبه العسل . هذا المحلول

هو الفيسكس viscose الذي اكتشفه Cross و Baven عام ١٨٩٢ .

ويختبر المحلول ثم يسكب بعدئذ في المستودعات حيث يخزن عدة ايام في اوعية كبيرة لينضج . وفي اثناء مدة النضوج هذه يصفى لازالة اية مادة صلبة منه مهاكانت دقيقة الحجم لان الخطوة التالية هي قذف المحلول في ثقوب قطر بعضها جزء من خمسمئة من الانش .

وعملية التصفية هي ادخال هذا المحلول اللزج خلال صفائح سميكة من الحشو وطبقات من القماش المحاك خصيصاً لهذا الغرض . وتكرر هذه العملية ثلاث مرات او اربع . وفي الوقت نفسه تمتص انابيب خاصة خالية من الهواء اي غاز او هواء قد يكون تسرب الى المحلول ، لان فقاعة واحدة من الهواء قد تعطل احدى الثقوب الصغيرة الذي يجب ان يمر بها المحلول بعدئذ .

صنع خيط الحرير الصناعي

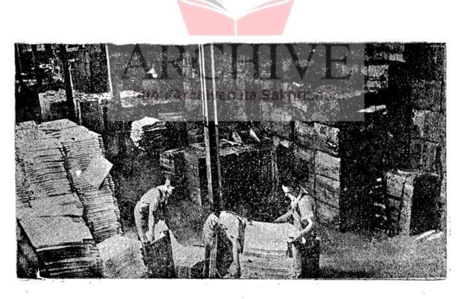
يولد هذا الخيط في غرفة الغزل حيث يمر المحلول اللزج في احجار لامعة سوداء غازلة مصنوعة امامن مزيج من البلاتين والذهب او من الخزف الصيني ولها ثقوب مغموسة في حامض الكبريت المخفف . وفي هذا يجمد المحلول الاول اللزج ويصبح خيطاً له تقريباً نفس سماكة الخيط الذي تنتجه دودة الحرير .

وتسحب الخيوط في الحامض فوق دولاب زجاجي ثم ترمى بواسطة انبوب زجاجي الى صندوق سريع الدوران حيث تلف بحركة مبتعدة عن المركز على سطحه الداخلي لتشكل ما هو معروف بكمكة الحرير الصناعي لمشابهتها الكمكة في فراغها عند الوسط .

وبعد ان يمضي على هذه الكمكات بعض الوقت في غرف خاصة يشرع في عمليات الغسل والتجفيف والتبييض ، في احوال خاضعة لرقابة فنية دقيقة لان صنع الحرير الصناعي يتوقف علمياً على تنظيم جميع الادوار الذي يمر بها تنظيماً كلياً . ويجب ان تكون جميع المواد الخام المستعملة في صناعته من الجنس الصافي الممتاز كما ان مورد الماء يجب ان يكون نقيا غير منقطع .

ولقد زاد انتاج الحرير الصناعي ثمانية عشر الفاً بالمئة عما كان عليه في مطلع هذا القرن ، سابقاً انتاج دودة الحرير مراحل عديدة . فالدودة يقتضي لها اربعة اسابيع لانتاج الف يرد من الخيوط الحريرية ، بينما تنتج آلة الغزل الفين وخمسمئة يرد في ساعة واحدة .

عن الانكليزية «الاديب»



السللوز المجفف بواسطة اسطوانات يحميها البخار الى آن يشبه اوراق النشاف الغليظة ، بعد وصوله الى معمل الحرير الصناعي حيث تقطع صحائفه وتقاس وتزان .

◆

بين النجوم

قومي بنا نصعد حتى السما طيرين خفاقين بين النجوم

قومي فقد مل دجانا السرى
حتى متى نمشي به القهقرى
جوزي الى الفردوس بي عبقرا
علي ارى في افقها منظرا
يكشف لي عن سر ما لا ارى

قومي بنا نصعد حتى السما طيرين خفاقين بين النجوم

هيا الى المريخ والمشتري
نبحث عن فردوسنا الاخضر
وعن اناشيدك في عبقر
هل خفقت بالناي والمزهر
على فؤاد الشفق الاحمر

قومي بنا نصعد حتى السما ونرسل الآهات فوق الغيوم

قومي فقد ضاق بنا العالم
نبحث عما يصف الحالم
حتى متى يقذفنا الراجم
ونحن لا باغ ولا آثم
الا المنى والامل الباسم

قومي بنا نصعد حتى السما طيرين خفاقين بين النجوم

هيا بنا طيرين ما غردا
تحت السما الا لكي يصعدا
ان شئت لحناً فرقداً فرقدا
واتشح الافق بنا عسجدا
او شئت باكرنا الاقاحي ندى

قومي بنا نصعد حتى السما ونرسل الآهات فوق الغيوم

الجوماني



مي عن المثّال الحويك

ذكرى مي

بمناسبة مرور ثلاثة اعوام على وفاة مي

•

بقلم السيدة وداد سكاكيني

☆

مي زنبقة معطارة ، نماها لبنان فواحة بأرزه ، وخلع عليها صنين نقاء ثلجه وشممه . ولئن اطلعها لبنان من اكمامه فان مصر انبتتها على ضفاف النيل مثل زهرة لوتوس في خميلة من ورق البابيروس ، ورعاها ابواها كما يرعى جنان اعز شجرة في بستانه ، فطلعت مي على الناس في القرن الرابع عشر للهجرة بأدب نسوي طريف ما جاد به الزمان الا في نضج الحياة العقلية وزحمات الحضارة الغربية فأطل على دنيا العرب من نابغة سار ادبها وادب الرجال في مهيع واحد .

تلك غرسة من مغارس لبنان آتت اكلها في مصر التي غذتها بأفاويق المعرفة والثقافة ، فاذا مي كوكب دري يتألق في آفاقها بالالمعية والعبقرية ، واذا هي كأعز ما خلق الله من صفوة النساء في عذوبة السجايا واللسان وفيض الخاطر والشعور وسحر البيان ، وكانت المرأة العربية في هذا الشرق الحديث على عهد مي مزهوة بأديبة من قومها ، وحسبها ان تقول للرجل اذا احتدمت بينهما المنافرة والمفاخرة ان منا ميًا ...

وكان للمرأة الشرقية في نطاق هذه المأثرة الغالية ان تزدهي بمي تلقاء الغربيين حين يقولون : كان منا مدام دوستال وعندنا اليوم السيدة كوليت ...

وكما كنت يا كوليت في دارة فنك قبل هذه الحرب مثابة للادباء يغدون ويسرحون في حماك ، وكان يمر بباريس وفي دربك الوف الناس وفيهم فريق كثير يتشوفون لمرآك ويتلهفون الى استماع حديثك ويعجبون لانثى بذت ادباء الرجال ، كذلك كانت مي منذ ربع قرن في القاهرة الساحرة بيتها ملتقى الادباء والكبراء من المصريين والشاميين ، من الشرقيين والغربيين ، يشهدون الاجتماعات التي كانت تؤلفها هذه الاديبة الخطيبة فتدير فيها ادق الاحاديث بلباقة ولقانة كان لها اثر بالغ في نفوس سامعيها وشاهديها ، وكان لمي يوم معلوم في كل اسبوع هو الثلاثاء ، يزورها فيه علية القوم وبينهم نفر كثير ما زالوا يذكرون ايامه المشهودة ، واسى في قلوبهم ثابت على الذكرى اذ كانت مي تحف الى لقائهم بالترحاب محفوفة بالدماثة والوقار ، وقد عجب الرجال لهذا التكوين النسوي الذي يبدعه الخالق على هامات العصور ليكون آية من آياته البينات على مكانة المرأة وفضلها ونبوغها

أذاكرة انا شيخ الشعراء اسماعيل باشا صبري ، وكانت مصر ايامه نقارة على دف الشعر ، مواجة بمباهج الادب ، وكان هذا الشاعر لا تفوته مجالس مي ليتملى من حلو حديثها ولحونها ، وكانت مي تهفو اليه بروحها كما يهفو الفتى الغريب الى ابيه ، فاذا حضر نديها اطرف الحاضرين بروائع شعره ، ولقد فاته ان يشهد مجلسها ذات اسبوع فبعث اليها ببرقية من الشعر يقول فيها :

روحي على بعض دور الحي حائمة   كظامىء الطير حواماً على الماء
ان لم امتع بمي ناظري غداً   لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء

وكان الشاعر الناثر ولي الدين يكن ممن لزموا زيارة مي ولها مع صاحب الصحائف السود مناظرات ومساجلات ، وفي ادباء مصر الاحياء من يحن الى تلك المجالس حنين المصحر في الهجير الى وارف الظل وضفاف الينابيع

وبعد فما هو ادب مي ؟ ان الكلام على هذا الادب يقتضي صحفاً منشرة وكتاباً مسهباً لا مقالا ، سطوراً في صحيفتين . .

كان اولى بواكير مي ديوانها الشعري « أزاهير حلم » نظمته باللغة الفرنسية وهو قصائد رومانتيكية ، منسوجة بالوداعة والعاطفة موارة بحب الطبيعة ، وقد جرت بها على غرار لامارتين وكانت في باكورتها الشعرية هائمة النفس بادب الشاعر الفرنسي ، وكان الفونس بقصيدته اللبنانية الخالدة « سقوط ملاك » وحياً الى « ايزيس كوبيا » التي ما لبثت ان نزعت عن ادبها الناشيء رداء الفرنسية واكبت على الانشاء والالقاء بالعربية ، واخذت تمكن لثقافتها بدراسة الادب القديم والحديث عربياً واجنبياً ، واستهواها ادب اللبنانيين في جبالهم ومهجرهم فتتبعت آثارهم وذهبت مذهب جبران في التجديد والابتكار ، وقد سايرت الحركة الفكرية المعاصرة في الشرق والغرب ، وكان اروع آثارها كتابها عن « باحثة البادية » فيه طوقت « ملكا » بعقد اعجاب لا يبلى ، وترجمت عن ادب الالمان كتاب « ابتسامات ودموع » عرضته في صور سهلة الاداء ، قانئة الالوان ، ولمي كتب مطبوعة ولها محاضرات ومقالات منشورة في كبريات الصحف والمجلات نمت جميعها على تفكير مي المتزن واعتصامها بشرقيتها وعروبتها ، واستجابتها لتطور العصر دون تطرف او اسفاف ولو بقيت مخطوطاتها وفيها دراسات ورسائل وقصص ومساجلات دون ان تثور بها في نزوة من النزوات لكانت تراثاً ادبياً للمرأة العربية ومجداً لها باقياً على الزمان ، على ان من مثار العجب والاعجاب بمي ان تكون ملمة بنهضة الغرب وحرية المرأة فيه ولا تنزع منازع الطفرة والمغالاة في آرائها الاجتماعية النسوية ، وانما كانت تؤثر للمرأة الشرقية مهما تعلمت وتثقفت حفاظهـا على حق الانوثة والامومة وتريدها على ان لا تشغلها السياسة ولا تغلو في طلباتها التي قد تصرفها عن اسرتهـا وبيتها او لا تلائم طبيعتها وحياتها .

وكانت مي شبيهة بابي العلاء في ناحية واحدة ، فان حكيم المعرة كان قد ألف الناس حيناً ثم اعتكف وتجافى عن المجتمع ، وكذلك فعلت مي قبل مغيب شمسها ، مي التي عطرت مجالسهـا بشذا حديثها ، واحتفلت بالناس ، ولكن الهموم الطاغية عصفت بها فصدفت عن آثر الناس لديها ، وركنت للوحدة والعزلة حتى سيطرت عليها الآلام وانتهت بهـا الى التشاؤم والاحزان ويبدو اقتداء مي بالمعري في كثير من لمعات تفكيرها ودعوتها للمساواة وشغفها بما يسميه المعاصرون ديمقراطية

وكما كان شروق مي وغروبها في ارض الكنانة فان لبنان شهد مطل هذه الزهرة قبل ان تتفتح وقبل ان تذوي اذ عادت اليه في محنتها ، وهنالك اشرفت مرة اخيرة على بحر الروم وهو يداعب بثبجه لبنـان عند سفوح بيروت فاستعادت العافية والسلامة ، وتألقت من جديد كما يتألق فجأة لسان السراج قبل الانطفاء ، فدعي الناس في بيروت لاستماع محاضرتها « رسالة الاديب » في الجامعة الاميركية ، وكأنما عز عليها ان تغيب عن الوجود الا في البلد الذي شع في سمائه كوكبها ، وشاع ادبهـا ، فعادت الى القاهرة لترقد في ترابها

واليوم تهيج ذكرى مي بعد ثلاثة اعوام على تواريها ، فتشجو النفوس نحو ماضيها القريب والبعيد وتعود للبال وللخيال سيرة مي التي كانت حجة على الرجال ومنحة من منح الزمان

ولئن كانت مجالس بنت الحسين وبين يديها الفرزدق وجرير والاخطل ينشدونها اطايب شعرهم لتحكم لهم او عليهم وكان ابن ابي ربيعة يرى مجلس سكينة اطيب لنفسه من ماء الفرات واروح لروحه من طيبه ، وان كانت ولادة في رباع الاندلس ادبية برزة تحتفي بابن زيدون واكابر الشعراء والوزراء وتفضل بعضهم على بعض ، وكانت هاتان الدرتان وغيرهما من سوالف العربيات حلقات من ذهب في سلك الادب ، فان مياً حلقة لانقول اخيرة ، لان الامل معقود بغيرها حلقة من عسجد مصري في هذا العقد النفيس ، الذي يحق لكل شرقية وناطقة بالضاد ان تزدان به وتزهو على نساء الغرب .

فسلام عليك يا مي وانت في دنيا الخلود تطلين من آباد الغيب على عالم كنت فيه بهجة الادب وفريدة عقد النساء

القاهرة   وداد سكاكيني

اوراق منثورة

من مذكرات مدرس

بقلم منير البعلبكي

الورقة الاولى – بغداد ، ١٥ نيسان ، سنة ١٩٤١

البيوت المسكونة هي التي حلّ بها « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فلا ينفع فيها رأس غزال ذي قرنين ، ولا نعلُ فرس من الاصائل .

هذا ما يقوله الناس .

اما قصرنا المسكون فيقوم على كتف واحة فيما وراء الكاظمية من بغداد ، بعيداً عن الحضر ، قريباً الى الصحراء ، اراده اصحابه الاثرياء متعزلا لهم ، فوسعوا في غرفه ، وزخرفوا من جدرانه ، واقاموا حوله التماثيل على هيئة العذرى حيناً ، وعلى هيئة البقر الوحشية حيناً ، وعلى هيئة الاسود في « الحمراء » حيناً ، فسبقتهم اليه العفاريت – وكأنما راقها ما فيه من عجب الصنعة – فكان صراع بينها واصحاب القصر ، تطاول حتى ابلغ اعواماً ثلاثة ، نكص من بعدها الاناسي ، امام المناجل ، تاركين وراءهم اربعة من الضحايا ، كلهم غال .

هذا ما يقوله الناس ايضاً .

وكأنما قدّر لي ان اعيش في هذا القصر ، هذا العام ، وقد ترحّلت عنه العفاريت ، (بعد ان حلّ فيه روح لا قبل لها به ، روح العلم العظيم ، وبعد ان غدا كلية للثقافة العالية) ، فانا اطلّ على الدنيا من كوّة فيه ، ما تزال عليها ندوب من معركة العفاريت ، لاعود الى غرفتي ، كل مساء ، انظم هذه الكلمات .

الورقة الثانية – بعد ايام

لم اكد آوي امس الى فراشي ، حتى تمثل لي شيطاني في الظلام ، وقال في لهجة المغضب :

– « كيف تقدم على هذا العمل دون ان تشاورني ؟ اتقصد الى تعجيزي ؟ اجب ! » .

ولم يكن من الاجابة بد . فقلت والعرق يتصبب من جبيني ، فقد كانت الصدمة شديدة ، وكان الجو حاراً على كل حال :

– « أأنا اقصد الى تعجيزك ؟ أمعقول هذا ؟ »

– « هذا ما استنتجه من اعمالك الخرقاء ! » .

– « اي اعمال تعني ؟ » . .

– « ما كتبته لايام في مفكرتك من كلام اهنت فيه العفاريت فزعمت انها ترحّلت عن القصر خوفاً من روح العلم العظيم . . . أجل خوفاً من روح العلم . . . العظيم . . . لو كنت شاورتني لعلمت ، ايها الاحمق ، ان العفاريت لا تنكص ولا . . . »

فقاطعته ، وقد زايلني الاضطراب :

– « تريد ان تقول انك جئتني في هذا الحلك لتلقي عليّ امثال هذه الدروس ؟ ! »

فصرخ ، وكأنه لم يكن ينتظر مني هذا الهدوء .

– « دروس في عينك ! ان المسألة ذات صلة وثيقة بحياتك ايها الشقي ! »

فقلت ، وكأنما تقطعت نياط قلبي :

– « حياتي ؟ حياتي انا ؟ »

– « اجل ! لقد كادت طائفة العفاريت تأتمر بك ، لولا شفاعتي لك عندها بوصفك صديقاً للطائفة ، وليس عليك الان الا ان تكتب تصويباً لما كنت دوّنت في المفكرة . . ألا تشتري حياتك بكلمتين ؟ »

– « بل بكل شيء ! »

قلتها ونهضت ، لأبدّد بالنور هذه الاوهام .

الزمان الوجودي

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

★

ان الشعور بالوجود لا يكون قوياً عن طريق الفكر المجرد(*) لان الفكر المجرد انتزاع للنفس من تيار الوجود الحي وانعزال في مملكة اخرى تذهب منها الحياة المتوترة الحادة ، ولا يسودها فعل وحركة ، بل صيغ خارجية عن الوجود الحي لا تنبض بدمه . انما يتم هذا الشعور حقا في حالة الفعل الباطن المنشب اظفاره في الحياة المضطربة ، في حالة التجربة الحية التي نستطيع فيها ان نكون على اتصال مباشر بالوجود في توتره . وهذا انما يتم بملكة خاصة غير العقل ، لسنا ندري كيف نسميها ، ولعل خير لفظ يعبر عنها هو الكلمة العربية « وجدان » ، على ان نفهم هذا اللفظ بمعنى « الملكة التي تعاني » بها الوجود بما هو عليه في نسيجه المتوتر على حال العاطفة وقوة الارادة . وقد استعملنا كلمة « معاناة » لكي نزيل فكرة العيان والرؤية ، وندل على اننا هنا بازاء ادراك لا يتم الا في تجربة حية مباشرة ، لا يراعى فيها نسبة بين ذات وموضوع ، بل استبطان مباشر من الذات لنفسها . ومن اهم نتائج القول بهذه الملكة ازالة المشكلة الكبرى في نظرية المعرفة ، مشكلة الذات والموضوع ، وهي مشكلة لم تستطع فكرة الاحالة المتبادلة في ظاهريات «هسرل» ان تحلها ، لانه استعان بفكرة الماهيات الخالصة ، وهي فكرة تعود بنا الى الصور الافلاطونية ، وفي هذا امعان في التجريد ، مع اننا نريد الوصول الى العيني المتقوم قدر المستطاع ، فضلًا عن ان نصيب الموضوع لا يزال كبيراً ، كما ان التجربة المحيلة ذات طابع عقلي تجريدي واضح اما نحن فنرفض المشكلة على اساس انها مشكلة تتصل بالوجود الفزيائي ، لا بالوجود الذاتي ، لانه اذا كانت ثمة احالة في هذا الوجود الاخير ، فذلك انما يكون من الذات الى الذات ، فلا معنى بعد للانقسام الى ذات وموضوع فضلًا عن ان التجربة هنا مباشرة فيها تحضر الذات نفسها بلا واسطة من صور حسية او كليات .

والوجدان يكون اذن عالماً للادراك يختلف تماماً عن عالم الادراك الذي يكونه العقل . ولكن ليس معنى هذا انهما مستقلان تمام الاستقلال ، بل عالم الادراك العقلي في خدمة عالم الادراك الوجداني ، وبهذا نود ان نفهم ما ينسب الى العقل من وظيفة ايجاد الادوات والآلات . فنحن نفهم هذا على ان عمل العقل يختص بالوجود الفزيائي ، والوجود الذاتي انما يتحقق ما به من امكانيات في العالم ، أي في الوجود الفزيائي ، بان يتخذ من الاشياء ادوات للتحقيق ، والعقل هو الذي يصنع هذه الادوات ، فالعالم العقلي اذن مهيأ لخدمة العالم الوجداني .

وموقفنا من العقل هنا ليس موقف تحقير لشأنه ، بل العكس ، نحن نريد التفرقة الدقيقة بين ميدانه وميدان غيره ، وليس في هذا أي معنى من معاني التقويم .

اما عن تحديد طبيعة الوجدان من الناحية الفسيولوجية ، وهل هناك حقاً ملكة قائمة بذاتها من هذا النوع فأمر لا نحسبنا بحاجة الى الخوض فيه ، اولاً لان تحديد المراكز العقلية جسمانياً قد ثبت انه مستحيل ، وثانياً لان فكرة الملكات فكرة عتيقة عُفي عليها من زمان بعيد ، فلا معنى لاثارتها بالنسبة الى الوجدان .

والادراك بواسطة الوجدان يتم وفقاً لمقولات خاصة ، تختلف تماماً عن مقولات العقل ، وهي التي لم يعن الفلاسفة بغيرها حتى الآن . ولوضع لوحة هذه المقولات يجب ان يراعى الطابع الديالكتيكي لكل ما هو موجود ، لان الوجود كما قلنا نسيج الاضداد ، وكل ما فيه يتصف بصفة التقابل ، لان الامكان ، حين يستحيل الى فعل ، لا يفقد بهذا طابع الممكن ، والممكن جامع بين النقيضين ، لان الامكان بمعناه الحي الحقيقي لا بد ان يشمل القطبين المتنافرين ، والا فلا معنى للامكان حينئذ . فكل موجود يتردد اذن بين قطبين متنافرين يضمهما في داخل ذاته . وهذا الاستقطاب هو في سياقه وتطوره ما نسميه بالديالكتيك : فالفارق بين الاثنين ان الاول منظور اليه من ناحية السكون ، والثاني من ناحية الحركة ، فالديالكتيك هو الانسياق الحركي للاستقطاب .

و للديالكتيك عندنا غيره عند «هيجل» ، لانه عند هيجل منطق عقلي ، وعندنا انه الانسياق الوجودي الصادر عن العاطفة والارادة ، وهذا الطابع العقلي للديالكتيك عند هيجل هو الذي افسد عصبه الحقيقي اعني التعارض ، مما اضطره الى فكرة الرفع ، التي هي المنفذ الواهي لمنطق هيجل ، ولو كان جريئاً في منطقه ، لاحتفظ له بالطابع الحركي على الدوام . ونحن نحتفظ للديالكتيك بهذا الطابع الى اقصى

(*) راجع الجزء التاسع (ايلول) من السنة الثالثة من الاديب .

درجة ، لان العاطفة والارادة والفعل بوجه عام تمتاز بالحركة المستمرة والمدة الدائبة السيلان والتغير الشامل للاضداد .

فلا مناص اذن من ان نجعل الديالكتيك هذا الطابع ، وسنسميه باسم التوتر . فالتوتر معناه قيام المتقابلين مع بعضها في وحدة لا يتخللها سكون او توقف .

لهذا كان لا بد للمقولات من ان تمتاز بالتقابل، ثم بالتوتر . ولذا سنجد لوحتها مكونة من زوج زوج ، ولكل زوج وحدة متوترة فيها جمع معاً للمتقابلين مع الاحتفاظ بما لهما من استقطاب في اوج شدته ، ولذا لن نسمي الوحدة باسم جديد ، بل باسم مركب من المتقابلين معاً حتى يحتفظ تماماً بهذا التوتر .

وقد انتهينا الى وضع هذه اللوحة من تأمل الاحوال السائدة المحددة لكل ما عداها بالنسبة الى كل من العاطفة والارادة . ولذا انقسمت اولا الى قسمين : واحد خاص بالعاطفة ، والآخر خاص بالارادة . وكل منهما ينقسم بدوره ثلاثة اقسام ، وكل قسم من الثلاثة يتركب من متقابلين ووحدة متوترة ، فلدينا اذن ثلاث مرة اخرى ، مما يكوّن ثماني عشرة مقولة ، هي :

عاطفة

اصل :	تـألم	حب	قلق
مقابل :	سرور	كراهية	طمأنينة
وحدة متوترة :	تألم سار	حب كاره	قلق مطمئن

ارادة

اصل :	خطر	طفرة	تعالي
مقابل :	امان	مواصلة	تهابط
وحدة متوترة :	خطر آمن	طفرة متصلة	تعال متهابط

ويجب ان يلاحظ هنا ان كلمة « اصل » لا يقصد منها ان المقولة المقابلة مشتقة منه ومتفرعة عنه ، بل كلا الاصل والمقابل ايجابي ، وكلاهما محدد للآخر ، مما يتبين بوضوح في الوحدة المتوترة التي فيها تؤكد ايجابية كلا الطرفين المتقابلين بكل ما فيهما من نفور وتناقض .

والمجال هنا ليس مجال دراسة هذه المقولات من الناحية النفسانية ، فان بحثنا هذا بحث في علم الوجود لا صلة له بشيء من هذا . انما يتجه نظرنا الى بيان مدلولها الوجودي ، اعني معناها من حيث تكوين طبيعة وجود الذات المفردة . فلنأخذ في بيان كل منها من هذه الناحية بايجاز .

اما التألم فشعور الذات بان شيئاً يحدها في وجودها العيني . فهي تريد ان تحقق امكانياتها في العالم الذي قذفت به ، لان الاتجاه الاصيل فيها هو تحقيق الامكانيات بقدر الوسع والطاقة ، وتحقيق الامكانيات يصطدم بالغير ، لانه لا يجري في داخل الذات وحدها ، بل لا بد ان يجري في الغير ، وان كان ذلك كوسيلة لاثراء الذات بافعال جديدة . فاذا ما لاقت ، وهي بسبيل هذا التحقيق ، مقاومة تألمت . وهذا يوضح لنا الاحوال المعروفة عن الالم مما لاحظه النفسانيون دون ان يستطيعوا تفسيره من الناحية الوجودية . واولها ان التألم يزداد مقداره ونوعه تبعاً لازدياد الرقي في سلم الكائنات . فهذا يفسره النفسانيون على انه راجع الى رقي الشعور كلما علا الكائن في سلم التطور ، وهذا ليس من التفسير في شيء ، انما هو ترديد لنفس المعنى بعبارة اخرى . اما نحن فنفسره من الناحية الوجودية على اساس ان الرقي في سلم التطور معناه تحقيق الكائن لامكانيات اكبر ، نوعاً ومقداراً . والتحقيق يلقى مقاومة من جانب الغير ، واذن فكلما ازدادت الامكانيات التي ستحقق ، ازداد الالم الناتج تبعاً لزيادة المقاومة . ولذا نرى البدائي اقل تألماً من المدني المتحضر . ويتطور في داخل كل حضارة شاهد صادق على مانقول ، اذ نحن نعلم ان عصر المدنية فيه يتألم الناس اكثر منهم في عصر الحضارة ، ففي الحضارة اليونانية يشاهد ازدياد الشعور بالالم في العصر الهليني ، فبدلا من هذه النظرة الباسمة المقبلة على الحياة التي اتسم بها اليوناني في العصر الهومري ، نرى في العصر الهليني وجوهاً شفها السقم ، وفي الحضارة الاوربية نشاهد الظاهرة بعينها : فالعهد السابق على الثورة الفرنسية كان عهد اشراق وسعادة اكبر من العهد التالي لها ، حتى لنرى القرن التاسع عشر عبارة عن سلسلة من المتشائمين ابتداء من شوبنهور وادورد فون هرتمن ونيتشه حتى بودلير ودوستويفسكي، والى اليوم عند هيدجر . وتفسير هذا هو على نحو ما قلنا : فقد ازدادت امكانيات الانسان القابلة للتحقيق بواسطة النهضة الصناعية ، ففتحت المجال واسعاً امام تحقيق اكبر عدد من الامكانيات وبالتالي للملاقاة اكبر مقاومة ، وتبعاً لهذا معاناة اوفر قسط من التألم . وبهذا المعنى يمكن ان يفسر قول روسو ان الحضارة تسلب المرء السعادة .

فالتألم اذن مصدره الحد من تحقيق الامكانيات ، هو شعور من الذات الماهوية بان ثمة مقاومة تعانيها من جانب الغير وهي تحاول تحقيق ما بها من امكانيات . ولما كان تحقيق الامكانيات الطابع الاصلي لوجود الذات على هيئة الآنية ، فان التألم اذن طابع اصيل للوجود الذاتي .

وهو يتدرج تبعاً لمقدار المقاومة ونوعها . وبهذا يفسر معنى

التضحية وجودياً ، اذ العلة في سموها هو شرف الموضوع الاتي منه المقاومة ، وليس تضحية الجزء في سبيل الكل ، كما تدعي النظرة النفسانية المبتذلة .

والتضحية تكوّن الدرجة العليا للتألم ولذا فانها في النقطة التي يجتمع فيها اعلى تألم مع اعلى سرور ، فالاطراف في تماس كما يقال . اذ لا يشعر المرء فيهـا بالم خالص كما في الاحوال الاخرى للتألم ، كما لا يشعر بسرور خالص على النحو المعـاني في لحظات السرور ، انما هي لحظة تجمع بين الناحيتين وتفنيها في نوع من الوحدة ، لو عمقت لكانت وحدة التوتر : فالشهيد الذي يعلو جبينه الاسف الباسم هو الذي يحقق هذه الوحدة المتوترة بين الالم والسرور ، والمثل التاريخي الواضح عليه سقراط الذي كان باسماً في اشد لحظات المحنة . في هذه الوحدة المتوترة يبلغ الشعور بالذاتية والحرية اوجه ، لانها جامعة بين النقيضين ، او الضدين ، فهي تعبر اذن عن نسيج الوجود الحي ادق تعبير .

والتضحية هي نقطة التلاقي بين الالم والسرور ، مما يفضي بنا الى التحدث عن السرور . وتفسيره عندنا وجودياً هو ان الاصل هو الوجود الماهوي ، وينتقل الى الآنية بواسطة تحقيق الممكنات ، وتحقيق الممكنات هو الفعل ، والفعل اذن توكيد لا مكان ، وفي التوكيد شعور بالذاتية ، اذ فيه نقل لها من القوة الى الفعل ، وكل ما يشعر بالذاتية على نحو ليس به مقـاومة هو السرور . ويزداد السرور تبعاً لازدياد تحقيق الامكانيات ، ويكون نوعه وفقاً لنوع ما يحقق منها . والدرجة العليا للسرور هي تلك التي تملك فيها الذات نفسها بكل ما وسعها تحقيقه من امكانيات . وهي حالة تصل اوجها في الايثار المحقق لاقصى الامكانيات الذاتية مع اغناء اكبر قدر من الذوات الغيرية في نفس الان . وواضح ان الايثار يلاقي التضحية في وحدة متوترة هي وحدة الالم السار ، ففي كليهما طابع التوتر الصادر عن تعارض وتقابل في الاتجاه .

وبالايثار قد انتقلنا الى الثالوث الثـاني في مقولات العاطفة ، وهو المكوّن من الحب والكراهية في وحدة متوتره هي الحب الكاره ، لان الايثار يتضمن معنى الحب بالنسبة الى الغير ، وذلك حين ينتقل الشعور من الذات المفردة الى ذوات او اشياء مغايرة . ولكن ليس معنى هذا اننا قد انتقلنا بهذا من الذات الوجودية الى الغير الوجودي ، بل بالعكس تماماً ، فلا زلنا هنا في نطاق الوجود الذاتي . والحب بالمعنى الوجودي هو امتصاص الذات للغير وافناؤها له في داخلها ، والدافع اليه تملك الغير كأداة التحقيق الممكن ، ومن هنا ارتبطت به فكرة التملك الخالص ، مما يسمونه الاخلاص في الحب او الامانة في الزواج الى آخره ، لان في هذا تحقيقاً للوجود الذاتي على نحو اكمل . ولهذا فان الحب في الدرجة الاولى منه شعور باتساع الذات ونموها ، وفي اعلاه بتعمقها وانتشارها مع وحدتهـا حتى تشمل كل الغيرية ، كما هي الحـال في الحب الصوفي الالهي ، وليس لهذا غير معنى واحد هو ان الذات قد اتسعت بوجودها حتى انتظمت كل شيء . ولما كان الحب كما فسرناه افناء المعشوق في الذات ، فانه يتصف اولا بانه لا يشترط فيه التبادل . وثانياً بانه على ارتباط وثيق بالخلق والانتاج ، اي بغريزة النسل .

ولكن الحب في الدرجة العليـا منه يصير اثرة ، لانه شعور الذات بانها وحدها الموجودة حقاً ، مما يولد احساساً بالكراهية لكل ما عدا الذات . ولذا فقد اصاب من حللوا الكراهية بربطها بالحب ، حتى قال نيتشه ان الحب الاعمق هو اسمى كراهية .

والقمة العليا التي يجتمع فيها اسمى حب مع اعلى كراهية هي « الغيرة » ، لانهـا جامعة لاعمق محبة بالنسبة الى المحبوب ، واشد كراهية لما عداه ، وهي لهذا حب كاره ، فهي اذن الوحدة المتوترة بين الحب والكراهية .

ولو نظرنا الى هذا الثالوث الثاني وقارناه بالثالوث الاول لوجدنا ان هذا كان يقول بمجرد التحقق للامكانيات على صورة الآنيّة ، اما الثالوث الثاني فيزيد عليه رغبة الذات في العلاء بنفسها باستمرار وتحصيل تحقيقات في الوجود اتم . وهو لهذا قوة دافعة بالذات الى اغنـاء نفسها حتى تبلغ اقصى درجة ممكنة لتمام التحقق الفعلي ، ونزوع مستمر نحو بلوغ هذه الغاية ، ومن هنا امتاز بالحركة الدائبة وبالخلق والايجاد ، وليس للغريزة الجنسية معنى غير هذا من الناحية الوجودية . والثالوث الاول يعبر عن اشياء كائنة بالفعل ، اي يشير الى تحقق مضى وكان ، بينما الثاني ينبيء عن تحقق لم يأت بعد وسيكون ، أي ان الاول مطبوع بطابع الماضي ، والثـاني بطابع المستقبل . ومن هنا نرى ان الزمانية طابع ضروري لهذين الثالوثين الكاشفين للذات عن طبيعة وجودهـا ، ونقول ضروري لان الشعور بكل ثالوث منهما لا يتم الا وفقاً لهذا الطابع : فالحب رأيناه دائماً يشير الى آت لم يتحقق بعد ، والا انتهى ووقف ولم يكن ثمة حب ، والالم والسرور يدلان على تحقق قد كان ونتج عنه هذا الشعور اللاحق . فكل من هذين الثالوثين يكشف اذن عن طابع الزمانية كعنصر داخل في تركيب الوجود .

واذا كان الثالوث الاول قد كشف عن الماضي ، والثاني عن

المستقبل ، فسنجد الثالث يكشف عن الحاضر .

والقلق من اهم الاحوال العاطفية التي عني بدراستها كير كجورد وفي اثره هوجر . وخلاصة تحليلها ان القلق يكشف عن العدم . ونستطيع ان نفسر هذا بان نقول ان الوجود الماهوي حين يصير متحققاً في العالم ، تفقد الآنية بهذا السقوط في العالم بعضاً من امكانياتها اذ لا تتحقق هذه الامكانيات حتى بالنسبة الى شيء واحد ، وبالتالي ستظل ثمة اشياء لم تتحقق . فالآنية اذن باعتبارها في العالم يعوزها شيء ، وهذا العوز او النقص هو العدم الذي يشعر به الانسان في حال القلق ، اذ نشعر حينئذ بانزلاق كل الموجود ونحن من بينه . ولكن ليس معنى هذا اننا نقوم بعملية تجريد سلبي كيما نبلغ العدم ، بل الشعور بالعدم في حال القلق يأتي قبل كل نفي وسلب .

ولكن القلق لا يكشف لنا عن هذا الجانب السلبي وحده ، بل يكشف لنا ايضاً عن جانب ايجابي . ذلك ان العدم ناشيء عن تحقق امكانيات دون اخرى ، وبدون العدم اذن لن ينكشف لنا الوجود العيني ، لان الشرط في التحقق هو نبذ امكانيات واخذ اخرى تتعين في الوجود الحاضر في العالم . وهذا النبذ هو الفعل الناشيء عنه العدم . وهذا العدم هو الاصل في كل نفي وسلب نقوم به في داخل الوجود ، وهو العنصر المكون للطابع الديالكتيكي لهذا الوجود العيني .

ولان القلق يشعرنا بالعدم فانه يرتبط بالحاضر ، ويقوم في الآن لان الشعور في هذه الحالة لا يتعلق بلحظة ذات كيان ، بل ببرهة لا سمك لها اطلاقاً ، وهي ما نسميه باسم الآن . واذا زاد القلق وبلغ اوجه ، شعرنا بان الزمان قد وقف نهائياً ، وهذا الشعور بوقوف الزمان هو الشعور بالان ، لان الان لا تجري فيه حركة . ومن هنا ايضاً ارتبط القلق بالسرمدية ، وذلك عن طريق الآن .

وموقفنا من العدم في حال الموت خصوصاً يجب ان يكون موقف « حب المصير » الذي دعا اليه نيتشه ، وذلك بان نعتبر هذا العدم الذي يقلق منه عنصراً جوهرياً في تركيب الوجود في العالم كما رأينا . فتتولد لدينا طمأنينة من ناحية ما يقلق « منه » . اما الطمأنينة بالنسبة الى ما يقلق « عليه » فيمكن ان تأتي بالرضا عن تحقق بالفعل من امكانيات ، والرجاء في تحقق اكبر قدر ممكن ، وبهذا الرجاء تأخذ الطمأنينة طابعاً حركياً . ومن هنا نستطيع ان نقول ان الوحدة المتوترة للقلق والطمأنينة توجد في حالين بوجه خاص : حال القلق من الموت ، وحال الطمأنينة في الرجاء ، وان كان التوتر ليس قوياً كل القوة في كلتا الحالتين .

اما طابع الزمانية في حال الطمأنينة فهو الآن ، اذ نشعر ابانها بتباطوء الزمان .

وبذا ينتهي بياننا لمقولات العاطفة ومنه يمكن ان نستنتج :

١ – ان كل مقولة تكشف عن جانب من الوجود : فالثالوث الاول عن الوجود بعد ان تحقق ، والثاني عنه وهو ينزع الى التحقق ، والثالث عنه في حالة التحقق الفعلي على هيئة الحضور بالفعل .

٢ – ان كل جانب من هذه الجوانب يشير الى طابع للزمانية باطن فيه بطوناً ضرورياً : فالاول يشير الى الماضي ، والثاني الى المستقبل والثالث الى الحاضر .

٣ – ان الزمان ، بالتالي ، طابع جوهري للوجود يعين كيفياته ويحدد طبيعة احواله .

٤ – ان التوتر هو التركيب الاصلي الوجود ، وفيه يبلغ الشعور بالوجود – وذلك ابان وحدة التوتر – اعلاه ، فتكون الذات على اتصال بالينبوع الحي للوجود .

٥ – ان احوال العاطفة احوال وجودية تعبر عن احوال للوجود الذاتي في حال التحقق .

فالعاطفة اذن حال معبرة عن الوجود الذاتي في تحققه العيني – حال وجدانية لا فكرية ، بمعنى ان الذات فيها مشتبكة مع نفسها مما يسمح لها ادراك الوجود على نحو اتم ، اذ ليس من شك في ان الشعور بالوجود في حال الالم مثلاً ، اقوى منه في حال المعرفة بالالم ، اذ في الاول اتصال مباشر بين الذات والوجود ، بينا هنا في حال المعرفة اتصال غير مباشر .

والحال اظهر في الارادة منه في العاطفة : اذ الارادة قوة الوجود الذاتي ، بها يحقق ما فيه من امكانيات على هيئة وجود بالفعل في وسط الاشياء والذوات الاخرى . وهذه القوة مصدرها الحرية التي للذات في ان تعين نفسها بتحقيق امكانياتها ، فتختار من بين الممكن احد اوجهه وتنفك بواسطة القدرة . وهذا الاختيار ليس معرفة بالافضل ، انما هو فعل تعلق باحد اوجه الممكن . وهذا الفعل اولي قد تصاحبه معرفة وقد لا تصاحبه .

ولما كان الممكن لا نهاية له ، وكان التقابل صفة جوهرية في كل موجود ، كانت الارادة في حالة عدم تيقن بالنسبة الى ما يجب عليها ان تتعلق به من اوجه الممكن ، فلا يبقى امامها حينئذ الا ان تخاطر باخذ احد الاوجه ، والا التاث عليها الامر ، ووقفت عن الاختيار ، وبالتالي عن التحقيق . لهذا كانت المخاطرة الفعل الاول

للارادة، وكان الخطر اول مقولاتها. وفعل المخاطرة فعل لامعقول، ومع ذلك فهو وحده المؤدي الى تحقيق الوجود، لان تحقيق الوجود يستدعي المخاطرة، ولذا قال نيتشه: «الحياة بوجه عام معناها الوجود في حال الخطر». وفصل نظرياته في هذا بطريقة عامة غامضة نستطيع نحن ان نوضحها وفقاً لمذهبنا هذا في كون الوجود مليئاً بالاضداد المتساوية في درجة الامكان، ولذا فان اتخاذ احد اوجه الممكن ينطوي بالضرورة على مخاطرة، ولا بد من اتخاذ احد الاوجه حتى يتم تحقيق الممكن، وبالتالي تحقيق الوجود. وكلما قل نصيب تعين اوجه الممكن من اليقين، زاد قدر الخطر. وعدم اليقين يزداد قدره كلما ازدادت قيمة الفعل. فالخطر اذن طابع ضروري للوجود يزداد قدره وفقاً لازدياد قدر الفعل. ولهذا فان صاحب الافعال الجليلة هو المخاطر الكبير، ومن لا يخاطر، لا يظفر بشيء.

والمخاطرة تتم بفعل واحد لا نستطيع ان نعين فيه اجزاء، ولذا فانها تتم في الآن، وتشعر بطابع الحضور في الزمانية، ومن هنا ايضاً تشعر بالسرمدية. وبهذا نستطيع ان نفسر اقوال كبار الساسة والقواد الذين يتحدثون عن الافعال التي تنطوي على مخاطرة كبرى بانها ستقرر مصائر امم لالف سنة مثلاً. فهذا الشعور صادر عن الشعور بانهم يخاطرون بفداحة، والمخاطرة تتم في الآن، ويقوى الشعور بالآن بقدر درجة المخاطرة، وبالتالي هم يشعرون بنوع من السرمدية.

وهذا الشعور بالسرمدية هو الذي نجده في مقابل الخطر، اي في الامان، اذ نحس فيه بعدم التغير. ولا ضير على الذات من الشعور بالامان، انما الضرر من ان يكون مصدره وهماً. فالخطر الخالص مستحيل التحقيق، والامن الخالص مضاد الوجود الحي، فلم يعد غير الخطر الآمن هو الذي يكفل للذات الوجود الحي وتحقيق الامكانيات في حرية ومسؤولية.

غير ان الانتقال من مخاطرة الى اخرى لا يتم بطريق الاتصال، بل منفصلاً، اي لا بد للذات في سيرها ان تثب من فعل الى آخر. ولهذا فان المقولة الثانية للارادة هي مقولة «الطفرة».

ويدعونا الى القول بالطفرة ان الوجود عندنا مكوّن من ذوات كل منها قائم بنفسه، فعلق عليه في داخل ذاته. وقد يكون في مذهبنا هذا تجديد لفيثاغورية عفّى عليها الزمان، ولكن هذا لن يزيدنا الا جسارة في توكيد هذا الانفصال في طبيعة الوجود. فمذهبنا في ان الوجود مكون من ذوات منفصلة تمام الانفصال، قد أُغلق من دونها كل باب يفتح مباشرة على الاخرى، ولا سبيل بعد هذا للاتصال الا عن طريق الوثبة من الواحدة الى الاخرى.

والاصل في هذه الطفرة ان الذات في تحقيقها للامكان لا بد لها من الاتصال بماهيتها، اعني بوجودها الماهوي، كما لا بد لها من الاتصال بالغير، ولما كان بينهما هوة، لم يكن الاتصال ممكناً الا بالطفرة. والطفرة هنا نفهمها بالمعنى المطلق، اي الذي لا يستلزم أي وسط تجري فيه، والا وقعنا في الاتصال.

ولكي نفهم كيف تتم الطفرة على هذا النحو، لا بد من القول بفكرتين: اللامعقول، واللاعلية.

اما اللامعقول فيدعونا الى القول به طبيعة الوجود نفسه، اذ هو يتضمن كما رأينا العدم، كعنصر مكون له، والعدم يناظره اللامعقول من الناحية الفكرية. وقد اتت نتائج العلم الاخيرة مؤيدة لما نقول به من حيث اللامعقول ثم من حيث اللاعلية، بل لم يقتصر الامر على هذا، انما امتد ايضاً الى فكرة المتصل. فقد اثبت اخيراً نظرية الكم وجود الانفصال في تركيب الضوء والمادة على السواء، كما انتهى الى هذا ايضاً الميكانيكا التموجية على الرغم من محاولاتها الفاشلة للتوفيق بين المتصل والمنفصل باضافة الموجة الى الجسيم. كما اثبتنا ايضاً ان الجبرية العلمية قد عفي عليها، ولم تعد ثمة وسيلة لتفسير التأثير عن بعد الا بالقول بنوع من الطفرة. واذا كان الامر على هذا النحو فيما يتصل بالذرات المادية «غير الواعية»، أفليس من الاحرى ان يكون كذلك ايضاً بالنسبة الى هذه الذرات الواعية، التي هي الذوات العاقلة؟

وليس معنى هذه الاهابة بالفزياء، ان مذهبنا لا يكون صحيحاً بدونها، فان علم الوجود سابق على الفزياء وعلى اي علم آخر.

غير انه لا بد مع ذلك من المواصلة مع الطفرة، والضرورة هنا ناشئة عن ضرورة الفعل. وهذه المواصلة نوع من التوقف تقوم به الذات في طفراتها، توقف موقت من اجل طفرات جديدة.

ولكن على اي نحو يتم هذا الطفور؟

هنا تأتي المقولة الثلاثية الاخيرة فتحدده لنا على انه طفور متعال، لان في تحقيق الامكانيات سمواً وارتفاعاً بالذات واغناء لمضمونها. وهذا التعالي خالق فعال مهاجم باستمرار. فلا نقول كما قال هيدجر في فلسفة المستسلمة، ان الوجود قد سلم لنفسه، بل نقول ان الوجود ظافر بامكانياته متحققة في حركة مستمرة: اذ هو محاولة الذات ان تعلو على نفسها بان تغزو مواضع جديدة على الدوام. وهو اذن تعال موجه، يتجه نحو شيء ليس بعد. ولذا

القبلة المجنحة

لعمر ابو قوس

حلب

برح بي الشوق فما انثني — اضرب في الارض كثير الملال

اسير في الوديان مستوحشاً — وتارة فوق رؤوس الجبال

اشاهدالشمس وقد اوشكت — تغيب في الافق وراء التلال

ودوني الاحلام عريانة — تبكي ومن حولي بنات الخيال

ارقصها البدر على ضوئه — ولفها الليل ببعض الظلال

•

يا بدر هذي وحشتي في الهوى — في قربه اشكو وفي بعده

يا بدر خذها منه لي قبلة — من ثغره الوردي او خده

وانظر الى عينيه هل فيهما — مثلك بدر في سنى مجده

أنا الذي احببته جاهداً — من قبل ان يولد في مهده

وسوف ابقى حافظاً عهده — فهل ترى يبقى على عهده ؟

•

يا حسنها من قبلة في الدجى — حملتها البدر الى آخر

ترقص فوق الارض اطيافها — على اغاني العاشق الساهر

كأنها في الجو انسية — يحملها الجن الى ساحر

تنهل كالطل على ثغره — او خده او جيده العاطر

مغموسة في النور علوية — ناطقة عن حبي الطاهر

يتجه نحو المستقبل ، ويعبر اذن عن الان المقبل .

وهكذا نرى ان المقولات الثلاثية الثلاث المكونة للارادة تتصف بآنات الزمان الثلاثة هي الاخرى : الخطر يتصف بالحاضر ، والطفرة بالماضي ، والتعالي بالمستقبل ، كما رأينا من قبل تماماً في حالة مقولات العاطفة .

ولو نظرنا في الفارق بين العاطفة والارادة من حيث الكشف عن طبيعة الوجود وجدنا انهما يعبران معاً عن وجهي الوجود : فالارادة تعبر عن وجه القوة ، او الوجود كقوة ، والعاطفة عن وجه الحال ، او الوجود كحال . والفارق بين القوة والحال ان القوة فعل ، والحال انفعال ، القوة لتحقيق الامكان ، والحال للتحقق بالامكان . وبذا ينتهي بيان المقولات .

البقية في العدد القادم

القاهرة — عبد الرحمن بدوي

التموين عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيهم
امين المخطوطات بدار الكتب اللبنانية

« الطائين »

— الاهراء —

قال ابن الطوير (١) واما الاهراء فانها كانت في عدة اماكن في القاهرة « وهي لمؤونة الاهالي » وكانت تحتوي على ثلثمائة الف اردب من الغلات واكثر من ذلك في ايام دولة الخلفاء الفاطميين وكان فيها مخازن يسمى احدها بغداي وآخر الفول وآخر القرافة ولها الحماة من الامراء والمشارفين من العدول والمراكب واصلة اليها باصناف الغلاّت الى ساحل مصر وساحل المقس والحمالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يـد رؤساء المراكب وامنائها من كل ناحية . (٢) وكان اهراء صلاح الدين الايوبي مشهوراً .

« الكوبرتيف »

— التعاونية —

وكان لموظفي الدولة مخازن تعاونية المسماة اليوم «بالكوبرتيف» ومنها كانت تطلق الاقوات لارباب الرتب والخدم وارباب الصدقات وارباب المعابد على اطلاقهـا والجوامع والمساجد وجرات العبيد السودان بتعريفات وفئات خاصة . (٣)

المطاعم المجانية

وكان في ايام الشدة والضيق والمحل والغـلاء الخليفة ينشيء المطاعم المجانية للفقراء والضعفاء والغرباء على حسابه الخـاص ولا يردوا طالباً ايا كان ولو علموا انه ميسور وقادر على الشراء على اعتبار ان من لاق على نفسه ان يطلب المعونة مجانـاً لا يجوز ان يُرد طلبه .

تعاونية الجيوش

وكان للجيوش والاساطيل مخازن تعاونية واهراآت خاصة بها يزودون بها العساكر وعائلاتهم ويحملون لهـا الرواتب كما اورد ذلك تقي الدين احمد المعروف بالمقريزي اذ قال : « ومن الاهراء تخرج جرايات رجال الاسطول (٤)

مزج الطحين ..!

وقد خطر ببالهم ان يمزجوا الطحين بمواد غريبـة اكثاراً لكميته وتوفيراً لمصارفاته حتى يقدروا يكفوا الاهالي حاجاتهم من التغذية والمؤن وتخفيفاً لاسعاره ونفقاته (٥) .

دار الضيافة

ومنها ما يستدعي بدار الضيافة لاخبـاز الرسل ومن يتبعهم وما يعمل من القمح برسم الكعك لزاد الاسطول ولا فـتر مستخدموها من دخل وخرج ولهم جامكية مميزة وجرايات برسم اقواتهم وشعير لدوابهم وما يقبض من الواصلين بالغلال الا ما يماثل العيون المختومة معهم والا ذرى وطلب العجز بالنسبة . (٦)

انبار الدولة

— المستودعات —

ذكر جامع السيرة البازورية ان المتجر كان يقام به للديوان من الغلة وان الوزير ابا محمـد البازوري قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضي القضاة ، وقد قصر النيل في سنة ٤٤٤ ولم يكن بالمخازن السلطانية غلال فاشتدت المسغبة : ياامير المؤمنين ان المتجر الذي يقام بالغلة فيه مضرة وربما اقحط السعر من مشتراها ولا يمكن بيعها فتتغير في المخازن وتتلف وانه يقام متجر لا كلفة فيه على الناس ويفيد اضعاف فائدة الغلة ولا يُخشى عليه من تغير في المخازن ولا انحطاط سعر وهو الصابون والخشب والحديد والرصاص والعسل وما اشبه ذلك فامضى الخليفة ما رآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس وتوسعوا .

تسعيرة المأكولات

تسعير الحاجيات ببطاقات توضع عليها امر معروف انما في ايام

---

(١) الخطط المقريزية ج ٢ ص ٣٦٦
(٢) النوادر السلطانية طبع باريس ص ٢٦٨
(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار وهي الخطط ج ٢ ص ٣٤٤

(٤) مقريزي ج ٢ ص ٣٦٦ (٥) الخطط ايضاً ج ٢ ص ٣٦٦
(٦) الجزء الثاني من المقريزي ص ٣٦٦

الحروب وتنظيم الاعاشة كانت الدول تشدد كل الشدة على مخالفي «التسعيرة» . . وبيع الحاجيات باسعار تفوق تحديدها الشرعي . ومنها ان اللحم تكون عليه ورقة بسعره (٧) ولا يجسر الجزار ان يبيع باكثر او دون ما حد له المحتسب في الورقة .

تسعيرة الملبوسات

ولم يكتفوا بتسعير المأكولات بل ادركوا ان الملبوسات يرتفع سعرها ابان الحروب ارتفاعاً فاحشا اذا لم يتداركوها بتسعيرة معقولة تربح البائع ولا تظلم الشاري باسعار لا طاقة له بها ولذلك اجبروا بائعي الثياب ان يضعوا بطاقات على كل قطعة من قطع الثياب باسعار ظاهرة (٨) يراها المشتري فيشتري ما يحتاج اليه مرتاح البال مطمئن الضمير .

تأجير الثياب تفريجاً للمضائقة

ولم يكونوا يسعرون فقط المأكولات والالبسة قياماً بواجب ما تقتضيه حالة الاعاشة بل انه كان يوجد ايضاً مغالق خاصة بتأجير الثياب (٩) «وهي تابعة لتسعيرة الحاجيات» كما هو شائع اليوم في المدن الاوربية الكبرى تسهيلاً للذين لا يقدرون على شراء ثياب لحاجات او مناسبات موقتة تضطرهم ان يكونوا بثياب لائقة وبحالة حسنة لوجودهم بين مجتمع يقضي بذلك او حفلات او اعراس او ليالي ساهرة . او مجالس الخ . وقد حدد الحاكم اجرة الثوب عن كل يوم درهماً ودرهمين . (١٠)

مراقبة تنفيذ «التسعيرة» ونفي المخالفين

كلما اشتدت ازمة الاسعار وضائقتها اشتدت مراقبة الاسعار نشاطاً وقسوة ولا تكاد تخفى مخالفة البائع فان المحتسب يدس عليه صبياً او جارية يبتاع احدهما منه ثم يسأل عن السعر ويختبر المحتسب الوزن فان وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل عما يلقى وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الاسواق نفي من البلد (١١) .

(٧) نفع الطيب ج ١ ص ١٠٢
(٨) ابن عساكر ج ٣ ص ٤٠
(٩) المستطرف في كل فن مستظرف ج ٢ ص ٣٥ (١٠) الاغاني ج ٣ ص ١١٥ (١١) نفح الطيب ج ١ ص ١٠٢

اوامر الدولة لا تسرف النساء بلبسهن ايام الحرب

وكانت الحكومات لا تتأخر عن ابداء نصحها للاهالي بالاقتصاد وان لم تفد النصيحة فعندئذ تصدر الاوامر القاسية بمنع البذخ والاسراف على الملذات والملاهي وذلك ما اهاب بالاقدمين ان يسنوا قانوناً يمنع التبرج والبذخ والاسراف بما يتعلق بالبسة النساء وبهرجتهن مما لا نفع منه (١٢)

رواتب لاولاد الموظفين

وقد جعلوا للموظفين الذين لهم اولاد رواتب لاولادهم . قال المقريزي : « . . . واما ديوان الرواتب فيشتمل على رواتب الموظفين ومن يليهم من اولاد واخوة وقد عين لكل موظف راتباً كل على حسب رتبته(١٣).

التقاعد والجراية

«واجرى لابن عمار ما كان يجري له في ايام العزيز بالله من الجرايات لنفسه ولاهله وحرمه ومبلغ ذلك من اللحم والتوابل خمسمائة دينار ? في كل شهر يزيد على ذلك او ينقص عنه على قدر الاسعار مع ما كان له من الفاكهة وهو في كل يوم سلة بدينار وعشرة ارطال شمع بدينار ونصف الخ »(١٤) .

الاحتكار

وقد عرفت الحكومات القديمة الاحتكار، انما احتكارها كان لفائدة سكان البلاد وعدم ارتفاع الاسعار عن طريق المضاربة وتوزيع المواد المحتكرة بطرق قانونية عادلة وهذا ما اهاب بالخليفة المستنصر عام ٤٤٤ هـ ان يحتكر الصابون والخشب والحديد والرصاص وغيره(١٥) .

وعلى ذكر الاحتكار لا بأس من القول ان المؤرخ المشهور ابا عبدالله محمد الواقدي صاحب تاريخ فتوح الشام المتوفي ٢٠٧ للهجرة كان يحتكر ويضارب بالحنطة(١٦) .

نور الدين بيهم

(١٢) تاريخ ابن الفرات المجلد ٩ ج ٦ ص ٢٦٧ - ٢٦٨
(١٣) خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٤٢ (١٤) مقريزي ج ٣ ص ٤
(١٥) المقريزي ج ٢ ص ٣٤٥
(١٦) تاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادي ج ٣ ص ٤

الاسس الفلسفية للشعر الرمزي

بقلم عبد الله عبد الدائم

*

ليست الرمزية ، كما نتوهم عادة ، خيالا شعرياً محضاً او انغاماً موسيقية ترتل ترتيل المزامير : جمالها غموضها وقوتها ابهامها واستغلاقها، وليست الرمزية ايضا جدبا في القريحة السيالة او نحتا للشعر من صخر او عجزا عن الوضوح تستر تحت ظلمة الغموض. كلا ليست الرمزية هذا ولا ذاك بل هي اولا وقبل كل شيء. مذهب فكري واع ونظرية في الوجود عميقة حية وفهم للواقع في مسلماته المباشرة ومنابعه الاصلية، لا من خلال الملكات العملية في الانسان التي تفهم هذا الواقع كميدان للنجاح واللذة تقاس فيه الحقيقه بالقدر المحسوس من المردود العملي الذي يعطيه . الرمزية في جذورها ثورة ضد الذرية ثورة ضد النزعة الفيزيائية في فهم الكون وطعنة في صميم الفلسفة الوضعية وفي صميم كل فهم حسي تجزيئي للكون وما «فرلين» وما «رامبو» وما «ملارمي» الا الاعداء الشعريين لامثال «لوك» و«تين» Taine وكوندياك Condillac وغيرهم ممن ارادوا ان يجعلوا من الواقع الحي كيمياء ذهنية وجغرافيا فكرية.

وكيما نستطيع ان نمثل بوضوح هذا الوضع الفكري للرمزية لا بد لنا ان نمر مراً خاطفاً على بعض النزعات التي سادت في عصرها او قبل عصرها بقليل والتي هي اساسية في فهمها :

القرن التاسع عشر الذي عاشت الرمزية في اواخره هو ابن الثورة الفرنسية وما فيه من نشاط ثمرة لتلك الهزة العنيفة التي احدثتها تلك الثورة في النفوس وللقلق المسيطر الذي غرسته في جميع ميادين الواقع :

علمت هذه الثورة الكائن الانساني حب الحقيقة وعبادة الجديد والايمان بالمجهول اذ نثت فيه روح الامل وعلمته الثقة بعمله فقذفت له وسط عماء الحياة نقطتين للارتكاز وهما العقل والحب . ولكن ما ابث هذا المذاق الممتع السائغ الذي اعقب الثورة ان زال وحل محله المرأى الرهيب الذي خلقه عصر الارهاب ونبيه «روبسبير» Robespierre فانتزع من الناس ثقتهم بالمثل العليا واملهم في القيم السامية ، وعلمهم بعبادته للقوة وبمقاصله المشحوذة، ان النسبية معيار صائب للحياة الاجتماعية وان كل ما في هذا العالم من قيم ومثل تنحل في النهاية امام صوت القوة وصيحة الارهاب، وعلمهم بالتالي ان خير اخلاق هي اخلاق المنفعة واللذة لانها هي التي تساير واقع الحياة القاسي المستند الى القوة وحدها .

وهذا المنظار الجديد للاشياء هو الذي خلق تلك الطبقة البرجوازية التي لاتؤمن بشيء في العالم غير الارهاب مضافاً الى ادنى انواع اللذة الحسية ، تلك الطبقة التي سماها بعضهم باسم ارومانتيكية الاقتصادية

وقد وجدت هذه النظرة الجديدة للقيم الكونية ما يؤيدها في عالم الفلسفة ففتحت من جديد سفر الفلسفة الانكليزية ذات النزعة التجريبية النفعية كما اعادت من جديد ذكر ريبية «مونتني» Montaigne » وباسكال وانانية «لاروشفوكو La Roche-foucauld » وتشاؤمه ، واباحية ماجني القرن السابع عشر وسخرية فولتير وهلفسيوس Helvetius . نعم اعادت هذه النظرة كل هذا واستنجدت به وجعلت منه حجتها الراهنة .

وجاء تقدم العلوم وجاءت الاكتشافات الحديثة تشد عضد هذه النزعة وتقويها في الظاهر فانبثقت من كل هذا فلسفة وضعية اتخذت موضوعاً لدراستها كل قريب المتناول محسوس الاثر مزورة بذلك عن البعيد وعن كل ما لا يقع تحت مبضعنا ولا تناله ايدينا معتبرة كمثل اعلى لها القانون الرياضي وحده .

وتفرعت عن هذه النظرية الوضعية العامة نظرات جزئية تغلغلت في شتى ميادين الدراسة فأنتجت في ميدان علم النفس تلك الدراسة المعتمدة على تداعي الافكار، كما في المدرسة الايكوسية ،

او على اعتبار الصدمة العصبية العنصر الاولي في النفس مثلاً كما يرى سبنسر ، او على الصور النوعية images génériques كما يرى ريبو ، او على التخصص في الدماغ كما عند شاركو Charcot وانتهت كل هذه النزعات بنظرية التطور الداروينية التي شرحت بعض الاصطفاء الطبيعي وضع الانسان كآلة لاستثمار الواقع المادي لان اعضاءه قد خُلقت واصطفيت لتكون متلائمة مع هذا الواقع المادي . كما انتهت مثل هذه النزعات في الميدان الاخلاقي بفلسفة كفلسفة بنتام وميل ، وفي الميدان الاجتماعي بمذهب كمذهب كارل ماركس الاقتصادي .

ولم تعدم هذه النزعة محاربيها من الفلاسفة ، في عصرها ، خصوصاً امثال «رافيسون» Ravaisson ورينوفييه Renouvier ولاشيليه Lachelier وبوترو Bautraux وكورنو Cournot عند الافرنسيين ، فهؤلاء قد استطاعوا ان يرسموا الحدود التي يجب ان يقف عندها كل من العلم والفلسفة او ما وراء الطبيعة . الا ان نزعتهم وعصبيتهم الشديدة جعلت منهم شهوداً غير عدول وحكاماً غير مزكين في هذا الصدد .

لذلك اذا اردنا الحرب الواعية ضد هذه النزعة واذا اردنا الافكار التي استطاعت ان تتغلغل في النفوس وتدخل في حيز الوجود الحي فعلينا ان نلجأ الى الشعراء قبل الفلاسفة فهم الذين مهدوا السبل الحقيقية التي هدت هؤلاء ، وهم الذين قدموا لهم منظاراً للكون جديداً ومبتكراً :

كان الشعر البارناسي شعراً متمشياً تمام التمشي مع نزعة العصر الوضعية هذه أي انه كان الانعكاس الشعوري الوجداني لهذه الفلسفات التي سردناها والتي غمرت العصر كله . لذلك كان هذا الشعر حسي البنية رياضي الشكل والمقاطع فيزيائي العناصر ، يلعب فيه انتقاء الالفاظ ووضوحها الدور الاكبر ويتقوم في اساسه في الدقة اللفظية وعدم الالتجاء الا الى كل مباشر بيّن لا لبس فيه ولا غموض . وهذا ما يتجلى لنا عند قراءة شعر سولي برودوم Sully Prudhomme مثلاً اذ نجد اسلوباً صافياً صفاء الماس ليس فيه استجداء للالوان ولا التجاء الى الرنين اللفظي والتكلف أياً ما كان . وهذا ما نجده ايضاً في شعر رئيس هذه المدرسة لوكونت دوليل Le conte de Lisle الذي يعرف بنفسه هذه النزعة الجديدة في الشعر في المقدمة التي افتتح بها مجموعته الشعرية المسماة بالقصائد القديمة Poèmes antiques فيقول : « يجب علينا ان نلتجيء الى الحياة العلمية المعاصرة التجاءنا الى معبد للراحة والتطهير .. فالفن والعلم بعد انفصالهما الطويل بتأثير العوامل الفكرية المختلفة يجب ان يعودا الى الائتلاف التام اذا لم نقل الى الامتزاج التام . فالاول – أي الفن – هو التعبير الالهامي الاولي عن المثل الاعلى الذي تحتويه الطبيعة الخارجية بينما الثاني دراسة عقلية وعرس منظم لهذه الطبيعة الخارجية ايضاً . غير ان الفن قد فقد هذه العفوية الحدسية او استنفدها بالاحرى، لذلك فعلى العلم اليوم ان يذكره تقاليده المنسية وان يحييها فيه بما عنده من صور خاصة » . وفي هذا التعريف نتبين بوضوح حظ العامل العلمي الطبيعي في خلق هذا المذهب الشعري المتسم بدقة العلم ووضوح العلم وفي الوقت نفسه بسكون العلم واوتوماتيته .

لذلك كان لا بد ان يلقى هذا المذهب رد فعل شديد ضده وان يواجه تياراً آخر يعاكسه : وهذا ما نجده فعلاً في الرمزية .

اذاً فالرمزية ، من الناحية السلبية ، رد فعل ضد الشعر البارناسي كما ان هذا الاخير بدوره ردفعل ضد الشعر الرومانتيكي . وقولنا ان الشعر البارناسي هو رد فعل ضد الشعر الرومانتيكي ينتهي بنا الى ان الرمزية ، التي مثلت هي ايضاً مثل هذا الرد ، لم تكن حركة مبتكرة تمام الابتكار بل هي حركة تمخض عنها الصراع الدائم بين التيارات الفكرية المختلفة التي كانت تسود على التناوب ولهذا نجد البذور الاولى للنزعة الرمزية في كثير من مقطوعات الشعر الرومانتيكي نفسه، ولاسيما اذا اخذنا الرمزية كروح عامة وكتيار شعوري وفلسفة وجدانية . واشهر من يمثل هذا السبق للرمزية بين الرومانتيكيين الشاعر الثائر فيكتور هوغو فهو الذي جاز بالشعر حدود الصيرورة والنسبية التي كانت سائدة في المجتمع الذي وصفناه والقائم على اسس السعادة واللذة ، قاصداً بها مشارق المثل العليا . وهو بهذا يمثل اصدق تمثيل الاصوات الداخلية التي كانت تتردد اصداؤها داخل فرنسا والتي انتهت في عصر الامبراطورية الثالثة ببرهة من البرهات الحرجة وفترة من الفترات الحاسمة . وهذا ما شعر به هوغو تمام الشعور فاذا به يردد بروح ملؤها التعطش للمجهول :

« كل طريق في هذه الدنيا يودي الى هدف مغلق الاسرار

« فماذا نعمل وبم نفكر ؟ هل ننكر ام نشك ام نؤمن ؟

« انه حقاً لمفترق طرق مظلم ، انه طريق ثلاثي انه ليل غريب»

ولا يلذ لهوغو كما قد يلذ لغيره ان يرقص على اشلاء الموتى ، وان يجعل من الشك عبثه الممتع ودميته المسلية ، بل لا يهدأ له قرار حتى يصل الى ايجابية مرضية يقدمها لنفسه ثم لمجتمعه . وهذا ما ادعى انه قد وجده في هذه الفلسفة المبتكرة التي تكشفت

في شعره بين سنة ١٨٥٥ وسنة ١٨٦٤ والتي تتلخص في ان الروح قذفت وسط المادة وانهـا تتغلغل في كل شيء متدرجة من الجماد الى الانسان فالملائكة ، ويكون الارتقـاء على هذه الدرجات بوساطة الالم والعلم ، والحب خصوصاً ، ولا يزال الانسان في صعود حتى يصل الى الله الذي هو حب وبداهة :

« كل صرخة وكل صيحة وكل انشودة يرسلها الانسان

« ينالها الاجهاض عندما تريد ان تنطق بكلمة الله .

« اما القبلة فهي وحدها التي تستطيع ان تدعوه باسمه

« فليس لله الا جبين واحد هو النور والا اسم واحد هو الحب ،

« فالله هو اللهيب العاشق وسط كل شيء وهو البداهة الكبرى الساذجة التي تعفو وتصفح » .

وهكذا نجد عند هـذا الشاعر نزعة مثالية تفر من حدود الواقع العملي المباشر ومن النزعة التي تعتبر الطبيعة مركزاً للاشياء ، كما تصل الى الواقع الواقعي بمعناه الحي الدقيق لا الضخم الثقيل .

وقد يبدو من الغريب ان يضم هوغو الى حظـيرة الرمزيين وهو الشاعر الذي عرف قبل كل شيء باسلوبه الحسي وصوره المادية البعيدة عن الحيـاة الداخلية حتى ان « ريبو » Ribot قد اتخذه في كتابه عن الخيال المبدع مثالاً للخيال الشكلي في مقابل الخيال المتدفق الذي يمثله عنده الرمزيون خاصة ولكن لو فرضنا جدلا ان هذا التمييز القاطع بين نوعين من الخيال تمييز صحيح وخال من التعسف . فاننا لن ننسى ان « هوغو » قد تبنى في اواخر ايامه نزعة داخلية باطنية ظهرت في كثير من اشعـاره وخصوصاً في « اسطورة القرون » حيث تتجلى نزعة الشاعر الفلسفية الحقيقية : الانسانية فالشر فاللانهاية فصرع الشيطان فالله . وهذه النزعة الاخيرة هي التي نستطيع ان نتخذها حجة على روح الشاعر الحقيقية وهي التي كذبت ظن كل من اراد من معاصريه ان يتخذه حجة على اولوية الشعر الحسي المادي . غير ان هذه النزعة بقيت عند هوغو واترابه من ابناء الحركة الابداعية نزعة غامضة وغرزمة اولية لالحان اللانهاية والمجهول واجتراراً سابقاً قبلياً . ولم تأخذ هذه النزعة وضعهـا العملي المنظم الا على يد الرمزيين وذلك بعد الانقلاب الفكري الهائل الذي احدثته حرب السبعين مما سيكون موضوع حديث آخر عن فلسفة الادب الرمزي .

حمص عبدالله عبد الدائم

مكتبة الاديب

☆

دستور العرب القومي

للاستاذ عبدالله العلايلي — القسم النظري — يبحث فيه المؤلف العربية كوطن التائل الاجتماعي القومي ومزاج العرب العقلي وخلقهم القومي ، وادب النفس مما يدخل في القومية ونظام الحكم ، ثمنه ليرتان لبنانيتان

مقدمة لدرس لغة العرب

للاستاذ عبدالله العلايلي — كتاب يدرس العربية من شتى انحائهـا وهو كما قال العلامة الاب انستاس الكرملي : انه يفتح ابواباً في اللغة كانت مطلسمة الى هذا اليوم ثمنه ثلاث ليرات لبنانية .

المعري ذلك المجهول

للاستاذ عبدالله العلايلي — في منشورات الاديب — سلسلة كتاب الاديب — دراسة مبتكرة تلقي ضوءاً جديداً على المعري في انتاجه الفكري ثمنه ثلاث ليرات لبنانية

عمر ابن ابي ربيعة

للاستاذ جبرائيل جبور استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية . صدر منه حتى الآن جزءان ، يدرس المؤلف في الجزء الاول حيـاة شاعر العاطفة والحب والجمال . وفي الجزء الثاني عصره والبيئات المتنوعة فيه ثمن الجزء الواحد ثلاث ليرات لبنانية ونصف

الواء.

للاستاذ صلاح الاسير — في منشورات الاديب — مجموعة شعرية تمثل لونـاً جديداً من الشعر ثمنها ثلاث ليرات لبنانية .

الطب الواقي

◆

بقلم الدكتور عفيف مفرج
استاذ في جامعة بيروت الاميركية

يسيطر على نشوء الانسان وارتقائه سنة تنازع البقاء وبقاء الانسب ، كما يقول النشوئيون ، ولكن المدهش ان الانسان في تنازعه للبقاء ما انفك في كل الادوار التي مرت عليه ، عن السعي المتواصل لتحسين اسباب الصحة والوقاية .

على ان سعيه هذا كان كتلمس الاعمى تقع يده صدفة على شيء فيتناوله ويجد فيه فائدة .

هكذا مرت الاعوام والاجيال ، وانطوت الاحقاب والقرون ، ولكن معرفة الانسان في حفظ الصحة والوقاية بقيت مقتصرة على تجارب واختبارات نقلها الخلف عن السلف واعوزها التمحيص العلمي . حتى جاء القرن التاسع عشر ، وكان ما كان في منتصفه من اتجاه العالم الراقي لمعالجة الشؤون الصحية بطريقة علمية جديدة ، كان من نتائجها انها قضت على الاوبئة القتالة الجارفة التي رافقت البشر عصوراً طويلة – قضت على الطاعون – ذلك الموت الاسود الذي كان يجتاح البلدان ويحصد السكان حصداً . . . وكسرت شوكة الجدري والهواء الاصفر والتيفوس وانقذت العالم المتمدن من فتكها .

فبالعلم اذن وبأبحاثه الكيماوية والبيولوجية تمكن الانسان من معرفة اسباب الامراض الفتاكة فاحتاط لها بضروب العلاج والوقاية وهو ما زال دائباً في استكمال سيطرته على الطبيعة مستخدماً قواها المتنوعة ليتمتع برفاه العيش وطول السلامة .

اما السؤال : وأي الشعوب او اي البلدان كان لهـا الفضل الاعظم في هذه السيطرة ؟ فالجواب عليه : ان الفضل لا يصح ان يرجع الى شعب واحد او بلاد واحدة بل هو مشترك بين الشعوب اجمع ، الشرقيين اولا ثم الغربيين ، وان كان الآخرون قد اصبحوا مجلين في هذا المضمار وأكتفي البعض منا بالقول : ما الفضل الا للمتقدم .

نعم . . . ان اليونان سبقوا سواهم باعتبارهم جمال الجسم هدفاً من اهداف التربية القومية وانه يرتكز على اساسين هما الصحة والنظافة ، ولذلك اعتنوا كثيراً بالرياضة البدنية واقامة الحمامات وذلك الجسم .

ولكن الرومان فاقوهم بمعرفة تسرب العدوى وانتشار الامراض ولذلك اهتموا بالمشاريع الصحية فانشأوا الاقنية العظيمة لجر المياه الصالحة للشرب من مسافات شاسعة ، وعملوا المجارير المدهشة لطمر الاقذار وجرهـا الى خارج المدن وبذلك خدموا الصحة العامة وساعدوا على قمع الامراض الوبائية . على ان كل هذا لا يحسب عظيماً بجانب ما امتاز به العصر الحاضر من العنـاية بالشؤون الصحية العامة . . . يكفي ان اتمثل بالروس وما قاموا به في هذه الناحية بعد ثورتهم الاجتماعية واستتباب الحكم السوفياتي ، فقد فرضوا المراقبة الطبية على صحة كل فرد من افراد النشء الجديد مراقبة تامة مجانية من المهـد الى اللحد . وكل ذلك لكي يرفعوا المستوى الصحي ويعدوا للامة رجالاً ونساء اصحاء العقول والاجسام ناشئين على محبة الوطن والتعلق بالحكومة .

على ان رفع المستوى الصحي في أي بلد كان لا يمكن ان يحصل ما لم يتدرب الافراد منذ نعومة اظفارهم في البيوت اولا ثم في المدارس على المعيشة الصحية ويتلقون دروس علم الصحة ووظائف اعضاء الجسم ونظريه العلم الحديث في العدوى وانتقال الجراثيم .

من اجل هذا ظهر ما يسمى اليوم « الثقافة الصحية » وغايتها بث المعرفة بين الشعب بالوسائل المختلفة كالنشرات والسينما والاذاعات والقاء الخطب والمحاضرات وغير ذلك من الوسائل التعليمية التي تنور الاذهان باشارتهـا الى مواطن النقص وبالتشويق الى طلب الافضل وبلوغ الاكمل . ومن نتائج هذه الدعاية الصحية قيام مشروع « انعاش الطفل » لوقايته اولاً من امراض الطفولة ولتحسين صحته ثانياً ، وتنشئته تنشئة صالحة ليشب رجلا قوياً فيه الخير لنفسه ولامته .

وهنـا بيت القصيد في التربية البدنية ، التي تكسب الفرد صحة وجمالاً وتبني في جسمه القوى الحيوية التي تقاوم المرض وتمنع الجراثيم ان تتمركز وتتكاثر فيه . وهذا ما نسميه « المناعة » فانه لولا المناعة لكنا نرى الامراض اوسع انتشاراً واشد فتكاً .

والمناعة على نوعين : مناعة طبيعية تولد مع الانسان ومناعة مكتسبة يحرزها بواسطة المرض او التلقيح اي التطعيم ، وهذه المناعة يختلف مقدارها وامدها باختلاف الاشخاص والامراض ففي بعض الاشخاص وفي بعض الامراض تكون قوية وطويلة الامد وفي البعض الاخر ضعيفة وسريعة الهبوط والاختفاء . اما اكتساب هذه المناعة فقائم على الحقيقة البيولوجية القائلة : اذا ادخلنا في انسجة الجسم مادة عضوية غريبة عنه فالجسم يولد مادة خصوصية مضادة لهذه المادة الدخيلة ولتمييز بينها نسمي المـادة الدخيلة على الجسم العنصر المهاجم والمادة التي يولدها الجسم ضدها العنصر المدافع .

ففي مريض التيفوئيد مثلا تكون الجراثيم التيفوئيدية المتغلغلة في انسجة الجسم العنصر المهاجم وفي الوقت نفسه يولد الجسم عنصرا

مدافعاً يحارب به هذه الجراثيم القتالة . ونتيجة الصراع تتوقف على اي العنصرين يقوى على الآخر .

وما التطعيم الا تقليد الحالة الطبيعية ولكن بدلا من ان ندخل للجسم جرثومة حية قوية تسبب له المرض وتعرض حياته للخطر فاننا بالتطعيم ندخل في الجسم جراثيم مقتولة او مضعفة بطريقة خصوصية لا يتغير بها تركيب الجرثومة الكيماوي فنكون قد امنا بذلك توليد العنصر المدافع ضد هذه الجراثيم دون ان نعرض الانسان للمرض الحقيقي .

وكم من الناس ينسبون الوقوع بالمرض على اثر التطعيم الى المطعوم نفسه وهذه نسبة مغلوطة لا تستند على حقيقة . وان الطعم لا يسبب المرض بل يخفف وطأة الجراثيم التي كانت قد دخلت الجسم قبل ان تتم المناعة المتوخاة من التلقيح

والمناعة على العموم لا تبقى ثابتة على معدل واحد فتنقص او تزيد حسب التغيرات التي تطرأ على الجسم ، فكل ما يضعف الصحة يضعف المناعة والواقع ان التعرض للبرد القارص والرطوبة والتعب الشديد والجوع والسكر وكثرة التدخين والهواء الفاسد والانغماس في الشهوات . . . كل هذه من مسببات التدهور في المناعة وزيادة التعرض للمرض .

ومعلوم ان عصرنا هذا يمتاز بكثرة استعمال المطاعيم ولا تزال الابحاث دائبة للازدياد منها . فالاحصاءات العلمية الدقيقة تثبت ان التطعيم مفيد جداً خصوصاً ضد الجدري والامراض التيفوئيدية والخانوق والتيفوس والطاعون وانه لمن المؤسف ان نرى البعض يعاكسون فكرة التطعيم مستندين على استنتاجات مغلوطة تناقض الحقيقة العلمية وتضلل العوام .

والناس باعتبار مقدرتهم على اكتساب المناعة على قسمين : فالقسم الاول ويعادل ٩٠ بالمئة يمنحه التطعيم مناعة جيدة والقسم الثاني ويعادل ١٠ بالمئة لا يكسبه التطعيم اية مناعة وهذا يعد نقصاً وراثياً لا دواء له . فالتطعيم لا يفيد الفئة الثانية ولذلك نرى ان بعض الناس يقعون فريسة المرض ولو كانوا قد تلقحوا ضده . على ان هذا لا يجوز ان يزعزع ثقتنا بفائدة التطعيم وضرورته للمجتمع .

وكما ان من الناس من ينكر على التطعيم فضله فهناك فريق يعتقد ان التلقيح هو كل شيء في اتقاء المرض فيأخذون الطعم ثم يعبثون بالقواعد الصحية ويعرضون انفسهم للعدوى فيصابون . فمن اراد الوقاية وجب عليه استعمال اللقاح المبين لاكتساب المناعة ثم دعم هذه بالمحافظة على صحته وقواه .

هذا ، ويعوزني المجال ان اتبسط في هذا الموضوع الخطير والواقع ان الحالة الصحية في البلدان المتمدنة تتخذ مقياساً لرقيها وثقافة شعبها .

فعلينا اذن ان نجعل التعليم الصحي في صلب منهاج التدريس في مدارسنا على اختلاف انواعها ودرجاتها وهذا انفع لاولادنا ولمستقبلهم من كثير من المعلومات الكتبية التي يستظهرونها ولا فائدة لهم منها سوى انها مفروضة عليهم فرضاً .

انه يتعذر على الحكومة وحدها ان تحافظ على الصحة العامة وطرق الوقاية اللازمة لها ، ما لم يظاهرها الاهلون ويقوم كل منهم بالقسط الواجب عليه سواء كان في البيت او في الشارع او في المجتمعات حيثما كانت .

وان الحصول على الصحة يجب ان يكون الهدف ليس فقط لكل من يتوخى لذة العيش واستثمار الحياة الكامل بل لكل من يريد ان يقدم للجنس البشري احسن ما عنده واكثر ما اعطي .

اذاً فطلب الصحة فريضة اجتماعية على كل وطني عاقل . فمن اخلص لصحته أخلص لنفسه ولوطنه ، وما من قوم ساءت صحتهم الا وتقوضت مدنيتهم وانتزعت حريتهم فاستعبدهم من هم اقوى واصلح للبقاء .

عفيف مفرج

انفاس ملتهبة

لاحمد ابو سعد

ويجيءَ من باكٍ ومن شاعر — يأسى على جد له عاثر
افيق والآهات مذبوحة — على فمي والنوح في خاطري
ترودني الذكرى فلا تلتقي — غير فتى مضيع حائر
في جسمه سقم وفي قلبه — التسآم من ليل بلا آخر
اذا رنا جمع احزانه — وبثها من لحظه الفاتر
تلهبت انفاسه فانبرى — يقذفها من قلبه الشاعر
مرارة التسآل في ثغره — ولوعة الشكوى على الناظر
يحس بوحاً ووقداً روحه — وشعلة في دمه الفائر
يعي صدى في فكره ساحراً — يروي له كل صدى ساحر

•

ماذا الذي اخنى على روحه — فزجها في بؤسها الزاخر
فبات لا ترقا له دمعة — وراح لا يجني سوى الخاسر
يناشد الدنيا خيال الصبا — ومرتماً في حلمه الطاهر
لا يرتمي الا على ضفة — خضراء او منحدر زاهر
ذهلان عن كل صدى غير ما — توحيه ايام الصبا الباكر
من فكرة كالحلم او جنة — قائمة في عالم آخر !!
يا للصبا ربيع دنيا واحلامُ — صباح ملهب طافر
تعودني ذكراه فتانة — تحملني في حلمها العابر
تطوف بي كل دنى حرة — وملعب من تيهها الناشر
فلا اعي غير انقياد الهوى — ولا ارى غير السنا الباهر

•

ليت يظل الطفل لي احتمي — في رغده من عقلي السادر
افر من عيش اناسيه — كاسرة كالضبع الكاسر
ليست ترى الكون سوى مطمع — في نفسها ملوث كافر
ان يشبع الدين امانيها — تشبعه من تسبيحها العاهر
فدينها اهواؤها دنست — بكل مبغىً مذق غادر
يا رغدي اومي ويا خافقي — بث الجوى من فمك الزافر
يا رغدي يا سكرة الملتقى — ويا حنين العمر الغابر
ما العيش الا ان تروى طلاً — من غير ما ناه ولا زاجر
فبالطلا جنون روح وعت — فادركت ان ليس من عامر
ما العمر الا غفوات فقم — وانقض سبيل العيش او غامر

قصة موسيقي

لا نعدو الواقع ان رأينا في مؤلف هذه القصة كارل كابيك اكبر اديب تشكوسلفاكي معاصر تسنم ذروة الشهرة برواياته واقاصيصه ومسرحياته التي تتسم بطابع من رقة الشعور والميل الى تحليل غرائب النفس البشرية . مثلت احدى مسرحياته على المسرح الانكليزي فكان اول اديب تشكوسلفاكي يحظى بهذا التكريم وله كتاب في وصف سجايا الانكليز يهزل فيه دعاه رسائل من انكلترا .

حدثني « كالينا » ضابط الايقاع والموسيقى ، قال :

انه لشيء مؤلم ان تجد في نفسك الرغبة على ان تعين احداً ، ثم لا تستطيع ذلك . وهذا مـا حدث لي ذات يوم .. حينما دعيت الى لفربول لاقود حفلاً موسيقياً يقام هناك .

انك لتعلم بعجزي عن النطق بالانكليزية ولكننا معشر الموسيقيين يمكننا التفاهم لاسيما حين تقبض ايدينا على العصا القصيرة نلوح بها ، فما عليك الا ان تقرع بها وتتفوه بشيء وتلوح بيديك وتعيد ذلك مراراً ... حتى اشد المشاعر ارهافاً يمكن ان يعبر عنها كذلك .. فمثلاً اذا مـا لوحت بيدي هكذا ، فان كل امرىء يمكنه ان يرى في ذلك معنى تحرير النفس من اسار الهموم واوصاب الحيـاة وتحليقها في عالم روحاني غامض ..

حسناً .. حينما وصلت لفربول ، كان اصدقائي الانكليز ينتظرونني على المحطة ، ولقد ذهبوا بي فور وصولي الى نزل انكيا ارتاح فيه واستجم ما افقدنيه السفر من نشاط ، ولكنني ما ان اغتسلت حتى الفيت في نفسي رغبة في التجوال ، فكان ذاك ، على انني ضللت سبيلي بعد ذاك .

ان اول ما اعنى به كلما حللت في بلد ، ان ابحث عن النهر الذي يمر به او يقطعه .. ان النهر ليعطيك فكرة عما اسميه (ايقاع المكان) .. انك لترى في جـانب ، كل ضجيج الشوارع ، في الطبول والابواق النحاسية الضخمة ، بينا تجد في الجانب الاخر وهو النهر ، رنين الاوتار ، وعزف القيثار ، ونغم الكمان .

هنالك تستطيع ان تصغي الى المدينة باجمعها في آن واحد .. ولكن النهر الذي يمر بلفربول والذي لا اعرف اسمه قذر اسن .. على انه ينساب هادئاً ويهدر ويتقصف ماؤه ويصطخب كلمـا ارتطمت امواجه بالبواخر والرفاسات والارصفة والسفن والمخازن والرافعات .. ولقد قلت لنفسي ، حسناً .. دع ذلك كله ، لا بد ان يكون النهر محيطـاً بهذا الركن فلأذهب هناك حيث ينساب ، فسرت وسرت ساعتين ولا شيء يمر بي او امر به غير المخازن والغلال والارصفة ، وهنا وهناك قد ترى بواخر شاهقة كقبة الكاتدرائية .

لقد بعث ذلك الى نفسي كثيراً من البهجة والسرور ولكن الليل كان قد هبط آنذاك وكنت قد بلغت في سيري مرتفعاً رمليـاً ، وكان هنالك ضوء خـافت يشع من منزل يقابلني وانوار ضئيلة النور قلقة تخفق على بعد . ربما كانت تصدر من البحر ، ثم جلست على كوم من اللوح واحسست بفيض من البهجة يغمرني لعزلتي هذه وضلالي .. ولقد اصغيت بكل جوارحي الى همس التماع الامواج وهديرها حتى احسست بالصداع ، ثم جـاء شخصان ، رجل وامرأة فلم يرياني ، وقد جلسا موليـاني ظهريهما وراحا يتحدثان بخفوت .. ولو انني كنت افهم الانكليزية لكنت قد سعلت لاشعرهما بانني سامع لحديثهما .. ولكنني لما كنت لا استطيع ان انطق منها بغير كلمتي (الفندق) و (الشلن) فقد عدلت عن ذلك ... واضطجعت ..

لقد كان حديثهما اول الامر خافتاً رفيقاً وكان الرجل يتحدث اليها باناة وروية لكأنه يخشى ان تفوت اذنيها كلمة مما يقول .. ثم راح بعد ذلك يهدر بصوته متجهماً مغتاضاً .. ولقد صرخت المرأة فزعة مرتاعة ، وفاهت ببضع كلمات ترد بهـا عليه بعنف ، ولكنه اخذ بعد ذلك يكلمها من بين اسنانه حنقاً ، لم يكن هذا حديث هوى مما يجري بين حبيبين .. كلا . وليس هو في شيء من اغراء حبيب لحبيبه على فعل شيء او اقناعه به .. ان لكل ذلك انغاماً اخر ليست من هذه الالفـاظ المتوترة الجافة التي كانا يتراشقان بها في شيء .. ان لنجوى المحبين لهمساً حبيباً هادئاً وعميقاً ولكن حديث هذين كان ذا نغم هادر وايقاع موحد ، كأنما كان الرجل قد لبث يعيد ويكرر جملة واحدة .. لقد احسست آنذاك بذعر وفزع عما اصغي اليه .. لقد كان الرجل يغالب المرأة باقواله .. ولقد شرعت تبكي بعد ذلك وتعول ، وبين حين وآخر كانت

قصة



تصرخ كما لو كانت تأبى شيئاً وترفضه ، ولكنه كان يحاول اقناعها ، وكان في صوتها شيء من حنان صوت المزمار وعذوبة نغمه ولم يكن في نبراتها ما ينبىء عن صغر سنها ، ولكن صوت الرجل اخشوشن وغلظ ، وكان في نبراته ما يدل على انه يأمرها بشيء او يتهددها بما هو ادعى الى الفزع منه ، فكان ان شرعت تتوسل وتتضرع بيأس وتلهث فزعة مرتاعة ، وبعد ذلك اخذ صوت الرجل يهدر في نغمة صافية والهة ، ثم استحال نحيب المرأة الى تنهدات عميقة متقطعة ، فكان معنى ذلك انها لم تعد تستطيع ان تقاوم او انها رضخت لوعيده ، ولكن صوت البوق عاد بعد ذلك يرتفع مدوياً ، مضيفاً جملة الى جملة في مقاطع مبتورة في حزم ولجاجة ، وقد رافق هذا صوت المرأة تنوح او تتنهد مستسلمة يائسة .. اذ لم تعد ثمة مقاومة تبين في صوتها خلا نبرات تدل على الخوف والفزع ، ليس من الرجل نفسه ، ولكنه فزع غامض من امر سيقع ، ومن ثم سكنت حدة الرجل واستحارت ثورته الى حديث عميق ووعيد خافت كما استحار نواح المرأة ونحيبها الى تنهدات يائسة عميقة .. وبصوت خافت سألها الرجل بعض الاسئلة فيدو انها أومأت اليه عنها برأسها .. اذ لم يعد بعد ذلك يلحف او يتوعد ثم نهضا بعد ذلك .. وافترقا

انك لتعلم بانني لا اعتقد بالاوهام ، ولكنني اعتقد بالموسيقى ، فحينما كنت اصغي الى حديثها في تلك الليلة ، ايقنت كل اليقين ان ذلك (البوق) الصخاب انما يحاول ان يقنع ذلك (المزمار) العذب النغمة الحنون على ان يكون شريكاً في جرم ، وأيقنت ايضاً ، ان هذا المزمار ، سيرضخ لما يراد منه .. لقد اصغيت الى ذلك كله ، ولقد كان لي اصغائي ذلك اكثر من فهمي لما قالاه .. لقد ادركت ان ثمة جريمة على وشك ان ترتكب ... وعرفت ماذا ستكون .

لقد عرفت ذلك كله من الفزع الذي كان يشوب صوتيهما ، من صمتيهما ، من نغم حديثها من سكونها وتوقفها عن الحديث .. ارأيت ؟! ان الموسيقى لارق وابلغ من الكلام ... ان (المزمار) الهادىء كان بسيطاً فلم يقدر على شيء .. لكن ذلك (البوق) الهادر الصاخب كان يستطيع فعل كل شيء بينما كان ذلك المزمار يرتجف ويضطرب

لقد اندفعت الى المدينة معتقداً ان شيئاً على وشك ان يقع ، وان علي ان احول دون ذاك ولكن .. انه لشيء مخيف ان ترى نفسك وقد ابطأت كثيراً ..

لقد وجدت آخر الامر شرطياً في ركن من الشارع فاندفعت اليه وانا الهث فزعاً (انظر .. هنالك جريمة تدبر في هذه المدينة) ولكنه هز كتفيه ، وفاه بشيء لم افهمه ولقد قلت لنفسي .. (رحماك يا رب .. انه لا يفهم كلمة مما اقول ..) وبرغم ذاك رحت اصرخ في اذنيه كما لو كان اصم .. (انها جريمة .. الا تفهم ؟.. انهم سيقتلون امرأة تعيش وحدها .. وشريكهم في ذلك الخادم او البواب .. آه يا رب .. افعل شيئاً بحق السماء ..) ولكن الشرطي هز رأسه ، وفاه بشيء لم افهمه .. ومع ذلك حاولت ان اشرح له الامر وكنت مهتاجاً يغلي في السخط والفزع .. (الان اصغي الي .. ستفتح تلك المرأة الباب لحبيبها .. تستطيع ان تراهن بحياتك على ذلك .. كل ما عليك ان تمنع هذا .. ابحث عنها ..) .. واذاك .. تذكرت انني لا اعرف شكل المرأة ، وحتى لو كنت اعرف ذلك فلا استطيع ان اصفها له .. آه يارب .. انه لعدوان ، ان يحدث ذلك ..

ولقد اقترب مني الشرطي الانكليزي ، وراح يهدئني ، ولكن قبضت على رأسي بيدي وصرخت به « انت مجنون » ثم قلت لنفسي حسناً سأتولى الامر بنفسي .

لقد كان ذلك محض جنون ولكن كما ترى .. حينما تهدد حياة انسان فلا بد من جهد يصونها .. ولذا فلقد اندفعت في شوارع لفربول طول الليل علني اجد احداً يحاول ان ينسل الى دار

انها لمدينة عجيبة ، ساكنة في الليل كالاموات ..

ولما انبلج الصبح ، الفيتني جالساً على حجر أتنهد متعباً ، ولقد وجدني الشرطي هناك ثم قادني الى النزل

لا اعرف كيف ادت الجوق في تجربة الحفلة ذلك الصباح ، ولكنني حينما قذفت بالعصا اخيراً الى الارض واوفضت الى الشارع ، كان بائع الصحف ينادي عن صحف المساء .. ولقد ابتعت واحدة كان فيها عنوان بارز (حادث قتل) وفي اسفله ، صورة امرأة ذات شعر ابيض

بغداد ترجمة فيصل عبد الله الحامي

من اعلام الادب والشعر في العراق

الشبيبي الكبير

بقلم
صبري الزبيدي




قد عقدت النية على الكتابة عن اعلام الادب والشعر في العراق المعاصرين منهم والمتقدمين وغايتي في ذلك تعريف الشرق العربي بنهضة العراق الادبية والثقافية ، وقد ارتأيت ان اخص « مجلة الاديب » الزاهرة ببحوثي هذه نظراً لكونها في طليعة امهات المجلات التي وقفت نفسها لخدمة الادب العربي ونشر لوائه ، وها انا أبدأ سلسلة احاديثي بفقيد العلم والادب والشعر المغفور له العلامة الشبيبي الكبير والد الشاعر معالي الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس مجلس النواب العراقي حالياً .

هو الشيخ محمد جواد بن الشيخ محمد بن الشيخ شبيب بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ صقر الجزائري النجفي ، من اسرة عربية عريقة بالعلم والادب ، سكنت النجف الاشرف منذ زمن بعيد و كان لسلفها في القرن الحادي عشر الهجري في الفرات الادنى مكانة سامية .

ولد في بغداد سنة ١٢٨٢ هـ فنشأ بين ذويه وافراد عشيرته نشأة طيبة مرفهة ، وبعد ان بلغ العام السادس ، اخذ يتلقى العلوم على علماء وادباء عصره حتى كان له الحظ الوافر في الفقه والمنطق والعربية وسائر العلوم

تذوق الادب ونظم الشعر منذ نعومة اظفاره فسما افقه فيه وكان على جانب عظيم من الورع والوفاء والاريحية والوطنية والسخاء ، وكل ذلك يتجلى لك بوضوح فيما خلفه لنا من منظوم ومنثور ، اما نوادره فكانت حقاً نادرة المثال

لم يكن الفقيد ممن حصل في المدارس الحديثة ، وانما درس في مدارس الادب القديمة في كل من الكاظمية وبغداد والنجف

رحل الى النجف الاشرف مرقد بطل الاسلام الامام علي بن ابي طالب «ع» بعد ان حصل على قسط وافر من العلوم التي اشرنا اليها ، وهناك تفرغ للدرس والتحصيل والتتبع حتى صار شيخاً من شيوخ الصناعتين في العراق ، وكانت في النجف حينذاك ولم تزل الى الان مجالس ادبية عدة ، وكل منها يكاد يكون بمثابة مدرسة ادبية شعرية تضم اليها فحول الشعراء وامراء البيان ، واكثر بيوتات النجف اليوم لا تخلو من مثل هذه المجالس التي كان لها الاثر الفعال في صقل اذواق النجفيين وتنمية مداركهم وتفتح قرائحهم ، وهكذا اصبحت بواسطتها موطن الادب العراقي الام وحاملة لوائه ومنزلتها من العراق كمنزلة الازهر من مصر ، ولا بد ان الاساتذة الذين انتدبوا للتدريس من الاقطار الشقيقة واتيحت لهم الفرصة بالاقامة في النجف الاشرف يدركون ذلك جيداً .

فهذه المدارس وتلك في كل من الكاظمية وبغداد التي كانت ولم تزل وستبقى تصل ثقافة الماضي بالحاضر هي التي ثقفته وغذته بلبانها .

ومن مشاهير اساتذته المغفور لهم عبد الكريم الاعرجي الفقيه الاصولي الشهير وقد درس عليه علم الاصول ، السيد مهدي الحكيم ودرس عليه الفقه ، وجده لامه الشيخ صادق اطميش واليه يعود الفضل في الاشراف على تهذيبه وتربيته في زمن طفولته وشبابه ، والشيخ راضي الخالصي الكبير اكبر علماء عصره في العراق وقد درس عليه علم العربية والمنطق .

اما مدرسته الادبية في النجف الاشرف فكانت من اكبر المدارس وارفعها شأناً ، يتردد عليها ويحضرها باستمرار نخبة من اهل العلم والادب ومنهم الاستاذ العلامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ، والاستاذ الشيخ عبد الحسين الجواهري والد الشاعر محمد مهدي الجواهري صاحب جريدة الرأي العام ، والاستاذ السيد علي العلاق ، والعلامة السيد محمد سعيد الحبوبي ، والعلامة السيد باقر الهندي ، والعلامة الشيخ آغا رضا الاصبهاني ، والشاعر السيد احمد القزويني ، والشاعر السيد جعفر الحلي ويقال انه كان معاصراً وملازماً للسيد الحلي حتى قيل انه قد اعتزل الشعر بعد وفاته الا في مناسبات قليلة جداً .

وممن ادرك هذه المدارس وتغذى بلبانها فريق من اشهر شعراء العراق المعاصرين ومنهم الجاله وفي طليعتهم « الرضا والباقر » والاساتذة محمد مهدي الجواهري ، واحمد الصافي النجفي ، والشيخ

علي الشرقي الرئيس الحالي لمجلس التمييز الشرعي الجعفري في العراق، والحسين الحلي قاضي قضاة البحرين في الوقت الحاضر وغيرهم

وقد قال فيه العلامة الاكبر «الشيخ محمد حسين» آل كاشف الغطاء ما نصه: «هو الشاعر الشهير والكاتب المتضلع الوحيد الذي لو كنت اجد في احد صحة قول الخوارزمي:

اذا اقر على رق انامله اقر بالرق كتاب الانام له

لما عدوته، وهو اليوم في العراق بغير مبالغة ولا مغالاة بيضة البلد وشاعرها الوحيد على الاطلاق

هذه شهادة لها قيمتها وقد قال فيه مثلها كثير من العلماء والادباء.

وكان رحمه الله يتردد على الوية العراق الجنوبية من حين لآخر فيتصدر المجالس الادبية وله في الشطرة مكانة مرموقة، وقد لازمه ودرس عليه كثير من ابناء هذه الجهات ومنهم السيد عبد المهدي الذي يُعد اليوم في طليعة الشباب العراقي المفكر الناضج وقد تولى عدة مناصب وزارية.

يعد الشبيبي في طليعة شعراء عصره فقد كان للبيئة التي عاش فيها اثرها الفعال في تكييف نفسيته وتوحيد ميوله، وقد مر معك كيف نشأ وترعرع، في بيئة الوسط النجفي، وهذا ما ساعد على جعله عالماً وشاعراً، فهو شاعر الطبيعة ومصورها الفنان، تقرأ شعره فيهزك هزاً عنيفاً

شعره متين القافية، مصقول الديباجة، رقيق الحاشية لا اثر فيه للتكلف، برع بجميع فنون الشعر وطرق كل باب من ابوابه فاجاد وابدع، ولكن الناحية التي امتاز بها هي الحماسة والقوميات والرثاء. والاجتماعيات والسياسيات واكثر قصائده تنوف على المائة بيت، تؤلف وحدة في القوة والانسجام.

ولم يكن يرغب في نشر منتوجه. ويقال انه قد احرق الكثير من شعره في اثناء الثورة العراقية، ومع هذا فقد ترك لنا ديواناً ضخماً لم يطبع بعد، والذي علمته هو ان السيد محمود الحبوبي سكرتير جمعية الرابطة العلمية الادبية في النجف الاشرف قد تمكن من جمع الشيء الكثير منه ويسعى الآن بمعاونة اعضاء الرابطة الى طبع هذه التحفة الادبية واخراجها. وقد تفضل علينا الاستاذ الحبوبي بنماذج من شعره واليك من قصيدة تناهز التسعين بيتاً في الوطنيات قوله:

ولينتفض من غبار الموت متحدا فالموت اولى بشعب غير متحد

وقوله

كان الضعيف اذا مد القوي يدا لظلمه ردها مدفوعة بيد

وقوله في الضعيف الخانع:

يبيت مضطربا في موطن قلق كأنه زئبق في كف مرتعد

وهكذا كان مصلحاً اجتماعياً ووطنياً غيوراً، يسعى دوماً الى نبذ التفرقة والى جمع الصفوف، ونصيراً للفقراء، ولكل ذي حق مغتصب، يسره ما يسر ابناء وطنه ويؤلمه ما يؤلمهم.

اما في القوميات فله صولات وجولات نظم فيها قصائد عامرة تبعث في نفوس سامعيها الهمم وتذكي فيهم الحماس فاسمع ما يقول:

ياعرب ابن جيادكم وهي التي لم يثنها في الروع جذب عنان
يحملن مردا لا يداف خضابهم الا بمطروق النجيع القاني
سل عن مواكبها التي كم نجدت ما بين ذي قار الى حلوان

ومن سياسياته قوله:

مبانيها لا تسلني عن زخارفها وان تشأ أملي قل لي من الباني
فتلك (مصر) بهامان دجت حقباً من للعراق وفيه الف هامان

ومن حماسياته قوله:

لا تعجبنك سياء على سرر فانما هي اسماء والقاب
تخالها العين ارواحاً لها اثر في الكون وهي بعين الجد العاب

ومن رثائياته قوله من قصيدة يرثي بها العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي وقد قالها في الجامع الهندي في الكوفة حين وفاته:

لواء الدين لف فلا جهاد وباب العلم سد فلا اجتهاد
تحارست المقاول والمواضي فليس لها جدال او جلاد
بليك غير ان العلم تاج له من فوق مفرقه انعقاد
ومصلح امة لو لم يقمها بنهضته لاقعدها الفساد

ومن وصفياته قوله من قصيدة يصف بها المذياع:

يحدثهم في الغرب والشرق مطرق ولم يحو كالانسان روحاً ولا نفسا
فيجهر بالانباء حيناً وتارة يسر الى الآذان انباءه همسا

ومن غزلياته قوله:

عودي ليخضر ياريحانتي عودي وروحي النفس في تلك الاغاريد
انغام غانية باتت تمثل لي الحان معبد في مزمار داود
انا الخليل الذي حامت مراشفه من وجنتيك على نيران نمرود

ولم يكن الشبيبي شاعراً من الطبقة الاولى فحسب بل كان كاتباً متضلعاً لا يشق له غبار وله مجموعة رسائل قيمة مخطوطة وستطبع مع ديوانه.

بقي الشبيبي مقيماً في النجف الاشرف وبقيت مدرسته الادبية هناك حاملة لواء العلم والفضيلة حتى اندلاع لسان الثورة العراقية الكبرى التي ساهم فيها هو وانجاله مساهمة فعالة، وبعد تأسيس الحكم الوطني غادر واسرته الكريمة مدينة النجف الى الكراوة الشرقية التي تقع على بعد (١٢) كيلو متراً من جنوب بغداد، وهي ضاحية من ضواحيها المشهورة بهدوئها وطيب مناخها، وجمال



جزائر تحت الريح

بول غوغن

بقلم الدكتور نقولا فياض
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

اهجر محلكَ ان أصبت بمحله	واستعفه من خمره مع خله
واذا دنا منك البعيد فلذ به	واذا نأى عنك القريب فخله
من كان يطلب عزة وصيانة	للنفس هل يلهو بلذة وصله ؟
ان المعادن ليس يعرف كنهها	حتى يزحزح اصلها عن اصله
والعالم النحرير يخفي علمه	ما دام مختلطاً بقوم مثله
والشهم ليس مكرماً في ارضه	فاذا نأى يتذاكرون بفضله

هذه الابيات واظنها للمرحوم مارون النقاش حضرتني الساعة وانا اطالع في احدى المجلات الفرنسية حياة بول غوغن وخاتمتها المفجعة . قليل من الناس بيننا من يعرف من هو بول غوغن واذا فتحت موسوعات العلوم وجدت عنه هذه الجملة المختصرة : « مصور صنع اجمل صوره في بريطانيا وتاهيتي و كان له اثر بعيد في معاصريه بغريب الوانه وبديع تزاويته ، وله في متحف اللوفر النجل الجميلة ، الجواد الابيض ، بنات تاهيتي » .

على ان حياة هذا المصور لا تقف عند هذا الحد وفيها من العبر الشيء الكثير وكلها تدل على ما يقاسي رجال الفن من الشقاء في هذه الدنيا وانكار الناس على كل موهوب معرفته ومعروفه .

بدأ غوغن عمله في باريس وخاض كغيره من الفنانين غمار الحياة الصاخبة بين جد الصباح ولهو المساء . وضجيج المقاهي وعربدة الرفاق ثم جاء يوم فاذا به يمل هذه العيشة وما فيها من عراك يغمره التنافس والتحاسد وتسفل المشتغلين بهذه المهنة ، وهاج به الشوق الى مناظر جديدة تفتح لنفسه وعبقريته ابواباً مغلقة فراح يضرب في مجاهل الارض باحثاً عن مكان يروي ما به من ظمإ الى الوحدة وظمإ الى الجمال .

وظل يطوف في جزائر الباسفيك عشراً من السنين دون ان يستقر في بقعة منها . وكلما اراد اثبات قدميه في ناحية كان له من اضطهاد مواطنيه من جراء انتصاره للسود وتضامنه معهم ما يحمله على مواصلة السير كأنه اليهودي التائه

وسمع يوماً ان هناك في ناحية من الارض بقاعاً جميلة لا تفارقها الشمس الا على اسف ، ومن شواطئها الذهبية تنبعث في الانسان احلام الفردوس، جزائر من المرجان يعانقها بحر من الزمرد وتتهادى فيها ظلال النخيل والنارجيل تحت انفاس النسيم المثقل بالاريج فوطد النفس على الشخوص اليها .

وذات مساء من سنة ١٩٠٢ بينما كانت الشمس تميل بوجهها الملتهب على ضفة الاوقيانوس كأنها وقد تعبت من السير تريد ان تكرع بملء فيها من هذه الكأس العظيمة الواطفة المقدمة لشفتيها ، وكان لون البحر يتحول من اخضر الى وردي فيه مزيج من العسجد واللجين ، والاسماك تقفز من البحر كأنها صفائح من الفضة تتفجر، كان سكان جزيرة هوفاهوا مجتمعين على الشاطئ ينعمون بعذوبة ذلك المساء وقد بدت جزيرتهم باحمرار مرجانها وخضرة

مناظرها ، وقد فضل الاقامة فيها لبعدها عن ضوضاء العاصمة وزحامها

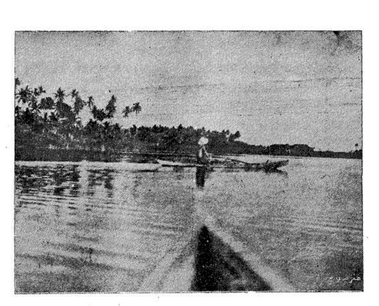
وعلى الرغم من شيخوخته فقد كان يسري في عروقه دم الشباب وقوة ارادته وعزيمته ، فتراه دوماً يتطاع الى اخبار المجتمع الذي سبر غوره وتغلغل بين صفوفه ، فوقف على ما يشكو منه وما هو بحاجة اليه ، وهكذا كان يتحفز لكل ما يشين بسمعة وطنه او يلحق به او بابنائه من اضرار ، فيغرد من حين لآخر قصائد عامرة يقام لها ويقعد .

عاش الشبيبي نحو واحد وثمانين عاماً قضاها بالبر والتقوى ، وبالجهاد والكفاح والنضال توفاه الله عام ١٣٦٣ ﻫ المصادف سنة ١٩٤٤ م على اثر مرض عضال لازمه سنوات عدة .

واقيمت له حفلات تأبينية كبرى في اكثر جهات العراق

مات الشبيبي بعد ان ادى رسالته كاملة غير منقوصة ، فأحدث موته فراغاً كبيراً في مثل هذا الوقت الذي نحن احوج ما نكون اليه والى امثاله من حملة مشاعل الهداية .

العراق — الطاهرية　　　صبري الزبيدي



في الماء تحت ظلال النخيل ، يتهادى قارب احد الصيادين

منابتها كجوهرة طالعة من المياه لارضاء احـدى جنّات الغور التي يحبها بوزيدون اله اللاجج واذا بقـارب صغير تدفع الريح شراعه كأنه طائر بحري خضبت اجنحته شمس المساء . وفي زاوية منه رجل من البيض لا من اولئك البيض اصحاب الخوذ المصقولة والجرم اللاءعة الذين يمشون ولهم ضوضاء . ومن ورائهم حاشية تحمل الحقائب والصناديق . كان ذلك الغريب الابيض وضيع المنظر فقير اللباس تغطي جبينه قبعة رثة وعلى وجهه المترهل ملامح المغول ومن عينيه ينبعث بريق كبريق المحموم وفي يده حقيبة عتيقة هي كل ما يملك فنزل الى البر وبسط يده للسلام فاستأنس به الفلاحون ودنت منه فتاة تحمل في جيدها عقداً من الزهر العبق فنزعته منها وقلدته بـه رمزاً للترحيب ثم اخذت بيده دون وجل وقادته الى ذويها ، فأحس غوغن حالا انه بلغ غاية منـاه واقصى مشتهاه وان الارض التي وطأتها قدماه هي ارض الميعاد التي طال ما رآها في احلامه .

وعاد الامل الى فؤاده فراح يرسم ما يرى حوله من تلك المناظر التي تتبدل كل لحظة ويجمع لديه على بساط من العشب والاوراق المتناثرة كل ما يوحي لريشته شيئاً — من فهيمة المحبوبة التي تساكنه ، الى الفتيان الاشداء يغوصون امامه في البحر او في الغاب وراء الصيد ، الى العذارى بلباسهن الناصع اللون وشعرهن الطويل الذهبي المغاير بالزهر الى تلك الشواطىء الشقراء تتكسر عليها الامواج وقد وجد في هذه السلالة الجديدة القوية الجميلة وما يحيط بهـا من شتى الالوان غاية احلامه ومهبط الهامه .

وكانت زوجته فهيمة الحلوة البسمات تعد له الطعام واكثره من الاثمار ثم تأتي وتقعد الى جانبه .

وهكذا احس بالراحة بعد التعب والطمأنينة بعد الحيرة وخيل له انه في جنة الخلد وقد صفا له الزمان وسالمته الاقدار ولكن ذلك لم يطل لان مشاق السفر وما قاساه من المصاعب كانا قد استنفدا ما في بدنه من صحة وقوة فضلاً عن ان طعام تلك الجزيرة لم يكن وافي التغذية فشعر بان الحيـاة تتفلت منه واخذ يجاهد ويفرغ الطوق في تصوير ما يريد مستنفداً انفاسه في اوانه ليخرج للعالم ما لا يزال دفيناً في اعماق صدره .



صورة بول غوغن مرسومة بريشته

وكانت بعض السفن ترسو من حين الى حين على ذلك الشاطىء وتحمل منه الى عالم الفن اثراً من آثاره غير ان العالم المدهوش ابى ان يعترف بعبقرية هذا المجنون الذي هجر بلاده وغادر مركز الفن فيها لينزوي في هذه العزلة .

وبقي اياماً على هذه الحال يقاسي اضطهاد البيض ووطأة الفقر الشديد ولولا عطف الفلاحين عليه لمات جوعاً . وبلغ الضعف منه انه اصبح يجر نفسه جراً على الرمال ليمتع نظره بتلك المشاهد الطبيعية الفتانة ، واعادة النظر فيما يرسم ثم قصر حتى عن هذه فبقي مضطجعاً على فراش من قش تاركاً خياله شارداً في فضاء التصورات .

وكلما وصلت الى اذنيه اغنية الامواج حملته الذكرى الى ماضيه فمرت امام عينيه اطوار حياته الباريسية وكل الاشخاص والاشياء التي احبها وهجرها من اجل فنه : النساء والمتاحف ومغاني اللهو والعبث والمجون . وبين هذه الذكريات ساعة رأى فيها الموت عن كثب اذ هجم عليه صديق له من المصورين اسمه فان غوغ وقد اصابه الجنون فجأة وطعنه بالمدية في عنقه فجرحه جرحاً بليغاً ، ولولا لطف من الله لوقفت به الحياة في منتصف الطريق .



شقيقتان لفاهيا يستحمان في البحر الدفيء وقد تدلى شعرهما الطويل فوق اكتافهما

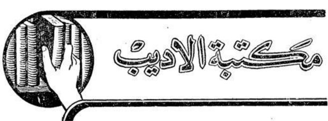
ثم جاء يوم هادىء كسائر ايامه هناك فاغمض عينيه الى الابد واطبقت ابنة الجزائر باناملها المعطرة بالفانيلا تلك الاجفان وقد ودت لو امكنها ان تتبع عادة ذويها فترسله في قارب مكلل بالازهار الى عرض البحار لينام فيها محروساً بالارواح وهي نومة يرتاح اليها غوغن غير ان المبشرين الاوروبيين ابوا الا ان يدفنوه تحت الثرى في زاوية من مقبرتهم .

وهكذا وجد التائه الابدي راحته الاخيرة في اجمل بقعة من الارض وانتهى جهاده ولكن حياته لم تنته فما كاد ينام حتى استيقظت باريس وهبت الى البحث عن آثاره وعلت اثمان صوره بعد ان كانت لا تساوي بلغة عيش وبعد ان كان في حياته ينتظر بفارغ الصبر مرور احد المراكب ليبيعه منها ما يسد عليه رمقه عاد الناس يحجون الى الجزيرة حجاً لاخذ ما تبقى منها في ايدي اولئك السود الآبدين باذلين في سبيلها كل مرتخص وغال وبينما كان السود حائرين في امر هؤلاء الغرباء الذين يهتمون بالرجل ميتاً اكثر منه حياً كان بول غوغن في قبره يتبسم بمرارة لهذا المجد المتأخر الآتي من اقاصي الارض لا ليتوج جبينه بل ليكلل ثراه .

رحم الله الياس فياض القائل :

ان الاديب حياته بماته .

نقولا فياض



تقارير عن المعارف السورية

للاستاذ ساطع الحصري – ٣٠٦ صفحات – دمشق

معالجة امور المعارف ، والعناية بهـا ، في دولة ناشئة تريد ان تقوم قواعدها على اسس وطيدة من العلم والمعرفة ، امر بدهي .. لعله اول الامور التي يجب ان يهتم بهـا .. حتى اذا تفتحت هذه الدولة الفتية ، تفتحت عن اريج عطر . وعن عبق ذكي ، وحتى اذا استوت سوقها استوت على سوق قوية ، لا عوج فيها ولا اضلال

وهذه المعالجة لامور المعارف، لا تكفي فيها النظرة العارضة ، ولا ينفع معها العلاج القريب ، وليس يفيد الدولة ان تضع يدهـا على الخلل الواضح تحـاول ان تصلحه .. فمن وراء ذلك اصول الداء وجراثيمه، ومن وراء ذلك عقده الاولى ومنابعه الخصبة .. فان هي لم تستطع ان تهتدي الى هذه الاصول تجتثها ، وهذه العقد تستأصلها .. كان عملها برقشة ظاهره ، ومعالجة عابرة وزينة لا تلبث ان تضيع

واقد قدر رجال الدولة ذلك كله ، واحسوه ووعوه ، ووعوا بعده ان هذه النظرات المبعثرة عن عيوب المعارف واصلاحهـا ، وهذه الاحاديث الموزعة عن معضلات التعليم وعلاجهـا ، وهذه الطنطنات الدائمة حول مشكلات الثقافة وحلولها لا تغني كل الغناء ، ولا تقنع كل القناعة .. لانها في مجموعها لا تشكل كلا واحداً ، ولا تستهدف غرضاً موحداً . ولان كثيراً منها – فوق جزئيته – قد نبت في ظلال الداء ، فما ملك القدرة على الاحساس به بله القدرة على علاجه، وما احس وجه الغبن فيه بله التنكر له او الثورة عليه

ومن اجل ذلك كله .. كان لا بد من الرجل الخبير ، وكان لا بد كذلك من المستشار الناصح .. فعهدت الحكومة الى العلامة الكبير الاستاذ ساطع الحصري ، بدراسة اوضاع المعارف في سوريا واقتراح ما يراه لاصلاحها .. وارتبطت معه بعقد هو طرفه الاول ورئيس الوزارة طرفه الثـاني .. عقد مستمر متجدد ، الا ان لا يرضى الطرف الاول تجدده واستمراره

وانصرف المربي الكبير الى دراسة دائبة متصلة ، وطاف ارجـاء الوطن السوري يشاهد ويقيد ، ويلاحظ ويسجل ، ثم عكف يكتب تقاريره الواحد تلو الآخر .

وقد بلغت هذه التقارير ستة عشر تقريراً ، كانت مجهود ستة اشهر .. وهو مجهود يستثير الاكبار والاعجاب ، لان الذي يتعمق في دراستها يجد ان الاستاذ احاط بامور المعارف كلها : ادارتها وتعليمها ، وتمكن منها جميعها : جزئيها وكليها ، وادرك انظمتها ومراميها وقوانينهـا ، ظاهرها وباطنها ، ما تدل عليه وما تضمره ، ما تظهره وما تخفيه .. فكانت له ، على تعقدها وتشابكها ، وعلى تضاربها وتنافرها ، كالصفحة البيضاء لا يضل فيها ولا يغفل عنها

ولن امر بالتقارير بالعرض والتلخيص ، فانا مؤمن انه لا بد للذي ينشد اللذة الفكرية ، ويتمنى ان ينفذ الى صميم الاوضاع في وزارة المعارف من ان يرجع الى التقارير نفسها .. يقف عند كل فقرة منها ، فيتحسسها في روحهـا الاولى ، ويتلقى منها فيض الاحساس، ويعب فيها حظ المعرفة ، ويخرج ممتلىء الذهن والقلب.

فاما عن لغة التقرير ، فالذين يعرفون الاستاذ العلامة في كتابيه الاخيرين عن مقدمة ابن خلدون ، يعرفون عنه هنـا ايضاً قوة الاحساس بالتعبير الذي يريد ان يصدر عنـه ، لان الفكرة التي تمليه ليست من هذه الافكار الفجة التي لم يقدر لها النضوج ، او المتأرجحة التي لم يقدر لها الاستقرار .. ولكنها كلها من هذا النوع الذي تحس معه انهـا بلغت اعظم الحظ من النضج ، ومن الاختمار .. حتى اذا جاء التعبير عنها جاء قوياً لا قلق فيه ، ولا ارتجاج معه .

واكبر الظن ان الاستاذ يرجّع هذه الافكار في عالمه الداخلي ، ويمر عليها حالا بعد حال ، حتى اذا استوت نيرة الاطراف ، واضحة المعالم .. ومارت بها نفسه في موكب من المنطق القوي ، والفكر النافذ ، والنظرة الشاملة .. جاء التعبير اشد ما يكون انقياداً لها وانسياقاً معها

وتحس ، وانت تقرأ : هذا الاضطرام في نفس المؤلف بين الفكرة واللفظة .. فليست اللفظة هذه الحروف التي تتألف منها ، ولكنها هذا العالم الذي تستره وراءها .. وهو بهذا الاضطرام لا يعنى ان تكون اللفظة مما يألفه الناس ، او ينكرونه ، طالما ان

هؤلاء الناس لم يألفوا المعنى الذي تحمله ، والعالم الذي تشير اليه .. ولذلك تجد في الصفحة الاولى من التقارير انه يستعمل « ماكينة المعارف Machine » ولا يستعمل « اداة » .. لان هذه اللفظة لا تقنعه ولا تغنيه .. انها اقصر مدى ، واضيق افقاً منها .. انها كالثوب القصير الذي لا يلف ما يليه .. فما بد اذن من ان يلجأ الى اللفظة الاعجمية ، وان يضحي باعتبارات كثيرة - كان لا بد من اعتبارها - في سبيل المعنى الذي يهدف اليه .

وهذه الصلة القوية بين التفكير والتعبير في تقارير المربي الكبير ، تضفي على الاساليب روعة خاصة . فهو سهل سلس ، تقرأه فتنقاد معه ، وتمضي فتحس كأنما تنزلق .. فليست هنـاك هذه الحواجز من الغموض الفكري ، ولا هذه العوائق من الضباب الذي تلمحه في بعض الاساليب ، وانما ملاك الامر مظهران اثنـان : اولهما البساطة ، وثانيهما الوضوح .

وتبدو لك هذه البساطة .. حتى في ادق المواضيع واشدها تعقيداً .. ويتراءى لك هذا الوضوح في اعقد المشكلات واكثرها التواء .. ولذلك فليس في التقرير صفحة تعيد قراءتها عن استزادة للفهم ، او ازالة للبس ، او نفـاذ المعنى ... ولكن في التقرير صفحات .. ما اكثرها .. تعيد قراءتها لهذه السلاسة التي تنساب فيها ، وهذا الانطلاق الذي ينسم فوقها .. كأنه النسمات الرضية في الربيع الندي .

واقرأ معي ، ان شئت هذه الصفحات الخمس عن توحيد الثقافة (٢٩٧ - ٣٠١) وصفحات اخرى عن احتكار الثقافة ، وعن الاستزادة العلمية بالمطالعة في اللغـات الاخرى ، وعن معهد الطب ومعهد الحقوق .. لترى كيف يسبق اليك الوضوح ، وكيف تأسرك هذه البساطة .

وليس في التقرير حرص على التجويد الفني ، فما الى ذلك يقصد المؤلف .. وانما الفكرة الواضحة هي غرضه . وطرق الاداء بعدُ ، لا تسيطر ولا تتحكم ، ولا تلتوي ولا تتعقد ، وانمـا تأتي نيرة باسمة قريبة .

وكان من خبرة الاستاذ بامور المعارف كلها ، اثر في الاساوب وانعكاس فيه .. اذ يتاوج من ورائه احتكاك حاد بامور التربية والتعليم ، وملازمة دائبة لها ، وترى كأنما قد غذي هذا الاساوب بكل مواضعات المعارف وشؤونها ، فهو يترجم عنها : من عبيرها ينشق ، ومن نسماتها يتنفس .

وكان كذلك من علم الاستاذ الواسع : هذا الذي يصدر عنه ، ومشاركته الخصبة في طائفة من الدراسات : هذه المشاركة التي يتمثلها .. كان ان جاء الاساوب كذلك تغلب عليه النزعة العلمية ، ويظهر عليه طابعها .. وليس ادل على ذلك من التشابيه التي ساقها بين يدي الدفاع عن الوحدة الثقافية .. هذه التشابيه والمؤيدات المنسوجة من علم الحيـاة مرة ، ومن علم الاجتماع مرة ثانية ، ومن واقع الالحان والاصوات مرة ثالثة .

ولا يخلو الاساوب من مسحة تهكم بارعة .. تمر بك وانت تقرأ التقرير بين المرة والمرة .. كأنما يلجأ اليها ليؤكد وجه النقد . او يفخم عيب الواقع ، فيبلغ الذروة من التأثير ... واقرأ ان شئت هذه الفقرات التي تحدث فيها عن سلطة عميد الجامعة : سلطة لا تملك تعيين خادم من نوع الطهاة ... وعن سلطة عميد الحقوق : هذه التي لا تبلغ شراء زجاج لنافذة .. وعن نقـد الادارة في المعارف حين مثل بتعيين خادم ، وحين سرد صفحات عن سير المعاملة يدخلها مدير المدرسة والمفتش والمحافظ ووزارة المعارف بدواوينها ومحاسبيهـا ، ووزارة المالية ، وديوان المحاسبات ، والجريدة الرسمية .. وأبان ان هذه كلها ليست لاحداث وظيفة خادم بل لتعيين خادم محل آخر ... وعن المعلمين الموقتين : من ان كل معلم موقت يعين من جديد مرتين خلال كل سنة .. وعن ابنية المدارس وان بعضهـا نموذج غريب تجتمع فيه اسوأ الشروط الصحية والتربوية .. وعن وزارة المعارف وانها تجمع في عهدتها « ٣٩ » وزارة معارف ، ومديرية عامـة ، ورئاسة مصلحة ، ومحافظاً .. وعن غيرها كثير في ثنايا التقرير .

والذين يقرأون التقارير يدركون اثر الجهد الشخصي فيها .. ولقد مر بالناس يوم سمعوا فيه همسات خفيفة ، معناهـا ان عيوب المعارف ونواقصها من الكثرة من نحو ، ومن الشيوع من نحو آخر بحيث لا تحتاج الى جهد في سبيلها ... فاذا هذه العيوب والنواقص - حين عمد اليها التقرير - اكثر مما كانوا يظنون ، وادق .. واذا التقارير تصل اليها لا تتلقفها ممـا تعود ان يلهج به الناس ، ولكنما تحس كأنما صاحبهـا رجل يستنبط الماء وفي يده آلاته ومسابره ، يمر بها ، ويحلل ويدقق ويختبر .. حتى يضع يده على النبعة الاولى التي تتكشف من ورائها الاخطاء المتعددة والاخطار المهددة .

وهكذا لم تعد عيوب المعارف هذه الاشياء التي عرفها الناس وتناقلوها واجتروها .. ولكنها عيوب اخفى وادق .. وكذلك لم تعد نقائص المعارف هذه الامور التي نلقى بها ، شكاوي مريرة لا تعرف مصدرها ، وتأوهات عميقة لا تدرك منبتها ، وجمل مقتضبة

ليس لدينا الدراسة الواضحة عنها ، والدليل البين عليها ... لانها حين جاءها التقرير سفرت واتضحت .. وامتد وراءها خيط من النور يكشف عن مصادرها ، وامتد هذا النور من بين يديهـا وخلفها يعللها اوضح تعليل ، ويبرهن عليها ادق برهان ، فاذا نحن نملك الشكوى المعللة ، والتأوه الموضح ، ونضع يدنا على مكان الداء : نحسه ونجسه ونتصل به .

ليس هذا فحسب .. ولكننا صرنا نملك كذلك الدواء . فليست نقائص المعارف في التقارير ، من اجل تعدادها وبيانهـا وتصويرها، ولكنها من اجل ادوائها ومعالجتها .. ولذلك تجدمع كل موضوع هذه الطائفة من الاقتراحات تحاول ان تستنقذ البقية الباقية من الجهد الضائع في التعليم والادارة .

وفي التقرير هذه الظاهرة الهامة من التحديد : ان نحدد اغراضنا من الامور الكثيرة التي نقذف بها .. انـه يعلمنا ذلك في كل مشكلة وفي كل موضوع .. فليس لوزارة المعارف هدف فليحدد هو هذا الهدف .. وليس للتعليم الابتدائي غاية مسطورة فلتحدد هذه الغاية حتى ينساق معها العمل كله .. ونحن ننهج بالتعاون الثقافي فلنحدد ماذا نقصد بهذا التعاون، وماهي الاهداف التي ينوالها . وكذلك الامر في التقارير كلها : تحدد المشكلة ، ثم تدرسها ضمن هـذا الاطار الواضح ، حتى لا تهيم على غير سبيل، ولا تضرب في غير اتجاه ، وحتى نملك القدرة على النتائج المنطقية المتصلة . وليس اقرب اليك من التقرير الاول تلمح فيه ذلك كله .. فهو في سبيل تبسيط المعاملات يحدد متى تكتب كل التفاصيل المعهودة في مقدمة القرارات ، ليتخلص من اكثرها .. ثم يحدد وظيفة ديوان المحاسبات حتى ينجو منه .. وينتقل فيحدد الغرض من النشر بالجريدة الرسمية حتى لا يكون للتأخير في النشر اثر في بطء المعاملات .. وحين يصنع هذا كله يكون قد حطم هيكل المشكلة نفسها عضواً عضواً وفقرة فقرة .

وللتقارير نظام فكري شامل .. وتدرك هذا النظام حين تمضي معها في اتئاد وهدوء .. فهي تبدأ تتعرف الى المشكلة التي تعالجها من خلال الانظمة المقررة والقوانين الموضوعة .. حتى اذا استوى لها ذلك نظرت في الاوضاع القائمة : ما هو مدى تناسقها مع هذه القوانين وارتباطها بها ، ماذا ارتضت منها وماذا تركت ، ماذا نفذت وماذا اهملت .. ثم يدع ذلك كله ليرسم الوضع المثالي الذي يرجوه .. وحين يأخذ به ، يبدو هذا البعد الهائل بين مـا يجب ان يكون ، وما هو كائن ، فتتكشف النقائص ، وتظهر العيوب ويكون النقد .

وهذه هي خطة التقرير في اكثر مـا عرض له ، وهذه هي عناصرها الكبرى .. على ان ترتيب هذه العناصر قد يبدو احياناً وفيه بعض التقديم والتأخير .. انه قد يرسم الصورة المثـالية في مطلع الحديث ، ثم يخرج منهـا الى الواقع الراهن ، وينتهي الى طرائق الاصلاح المقترحة (١٤٠ المباني المدرسية) ... وقد يفعل غير ذلك : قـد يبدأ فينعي الواقع في مفتتح التقرير .. واغاب الظن ان ذلك وقع مرتين اثنتين ، الواحدة في التقرير الاول عن ما كينة المعارف ، والثانية عن الامتحانات في التقرير الثالث عشر . واغاب الظن ايضاً ان الامر لم يكن كذلك الا لان الاخطـاء المستفحلة كانت من الوضوح ، ومن الطغيان ، ومن القوة ، بحيث ملأت نفس التقرير فجاءت في اسطره الاولى .

وهذا النظام الفكري يتخذ له عدته من ذهن عبقري .. لا يعتمد في قضاياه زينة اللفظ ، ولا اغراء الاسلوب ، ولا انفعـال العاطفة ، وانما يعتمد فكراً رياضياً واضحاً : مسلماته هذا الاحصاء الذي يتكأ عليه اينما مضى .. ولقد كان له هذا الاحصاء موحياً ومثيراً حقاً ، لانه انبثق عن الخطوط البيانية الواضحة التي انتثرت في اكثر تقارير الكتاب .. فجاءت لغة سليمة لا سبيل الرد عليها تنظر اليها فتدرك من ورائها اشياء كثيرة كانت تغيب عنا : انها تصور لنـا مثلاً اهمية الكتاتيب والدور الذي تلعبه .. وخطر المدارس الاجنبية والحيز الواسع الذي تشغله .. وعدد الاطفال في السنة الدراسية الاولى ، وفي صف الشهادة ، وتفاوت النسبة البعيد الذي يلاحظ فيه .

ومنطق الارقام من دعـائم هذا الفكر الرياضي ومن واديه الساحر ... وحين تتحدث الارقام عن نفقات الجامعة مثلاً وانها هذه الثلاثون بالمئة من اصل الميزانية ، وان السبعين منها تنفق على المستشفى تسكت الدعاوي العريضة عن اهتمامنا بالتعليم الجامعي ، ويثور في نفوسنا الواقع الاليم يحدثنا حديث المأساة، وتبدأ تتحسس الطريق الى اقتراح التقرير في فصل المستشفى عن الجـامعة حتى لا تكون هذه المغالطة المنكرة .. وكذلك الامر حين تبين الارقام عن توزع البعثات ، وعن تخصص افرادها ، فتبين معهـا عن هذه الخطط المرتجلة التي سيطرت على البعثات ، فتكاثفت في مادة من المواد وانعدمت في مادة اخرى لعلهـا لا تقل عن الاولى اهمية وضرورة .

ويعجبك ويلذك في هذه التقارير اسلوبها في معالجة المشكلات

هذه المعالجة التي لا تكتفي في ان تمس المشكلة باليد الناعمة او بالجس الخفيف ... وانما هي تقلب وجوهها واطرافها في تبصر ، وتجيل الرأي فيها كلها حتى تنفذ الى الصميم .

وعماده في هذه المعالجة نظرة شاملة نافذة ، ونظرة حكيمة بصيرة ترقب الغد القريب ، وتتأمل المستقبل الداني ، فتأخذ اهبتها له ، وحيطتها في لقائه ، حتى اذا كان ... كان لقاء لا مفاجأة فيه ولا رهبة له (اتساع المدارس، عدد المعلمين، المباني المدرسية ..)

ونظرة ثالثة مقارنة : تتطلع الى البلاد العربية الاخرى تكفل الانسجام بينها ، والبلاد الاجنبية البعيدة لتفيد التجربة منها .. حتى تأتي هذه المعالجة ، وقد استوفت القوة ، واوفت على الغاية في تلمس الدليل .

والامثلة اكثر من ان نقف عندها بالاشارة ، ولسنا نحن الذين نتصيدها .. وانما هي في عمل التقرير وفي حديثه ، وحسبك ان تقف عند هذه الفقرات المقتبسة من صفحات شتى ، حتى ترى سبيله في المعالجة والدراسة واضحاً بيناً :

« ان امر .. يتطلب درس القضية بنظرة شاملة تلاحظ جميع الحاجات القريبة والبعيدة »

« من الخطأ الاقدام على حلول منفردة دون التفكير في خطة عامة » .

« من الخطأ تأجيل التفكير الى حين ايجاد المخصصات او الى حين حلول وقت العمل بل من الضروري وضع الخطة العامة من بداية الامر » .

« ان القرارات المنفردة — التي ترتجل ارتجالا عند الاقدام على العمل — بدون تقرير خطة واسعة النطاق، كثيراً ما تضر بالمصلحة ضرراً بليغاً . »

فاذا نحن خلصنا الى الرجل نفسه من خلال التقارير تبينا انساناً يقدس المعلم .. ويرى فيه عماد الجيل، يؤمن بقضيته ، ويرى انها دائماً اول ما يجب ان ينظر اليه ، ويحترم جهوده ويرى انها فوق كل الجهود التي يبذلها الموظفون الآخرون ، ويؤمن به في صحته ومرضه فيدافع عنه ، ويدفع عنه هذه القوانين الجائرة التي تستلبه ، وهذه الانظمة التي تغض منه، ويخلص له في كل ما يعرض له من مشكلات فيوصي بالعناية بمسكنه في القرى ومراكز المحافظات .. ويتعهده منذ يكون تلميذاً في دور المعلمين فيغار على حياته الداخلية ويتطلب تنظيمها الذي يفسح مجالا لاستثمار الوقت ، والتعود على الاعمال الاجتماعية . ويريده ، لا معلماً تقتله المهنة بل تحييه ، ولا تحده المدرسة بل تمد من آفاقه ، ولا يسئمه العمل الرتيب ، وانما يهز فيه ابتكاره وذهنه .. ولذلك يرى دائماً تجديد واتمام معلوماته وتنظيم وتقوية خبرته سنة بعد سنة (١٢٧) .. ويتعقبه لا يحاول الافلات من مهنة التعليم ولا الخروج عنها ، وانما يؤمن بها ، وينذر نفسه من اجلها ، ولذلك يرى « ضمان استمراره في خدمة المعاهد التعليمية مدة طويلة . »

وكذلك يكون المعلم محط عنايته طالباً في دور المعلمين ، ومعلماً في القرية والمدينة ، ومثقفاً لا يجب له ان يقف في ميدان المعرفة ، وانساناً له حق الحياة الرحبة السعيدة .

والتقارير فوق ذلك تبين عن انسان عربي يقدس النزعة العربية في كل مظاهرها .. ويرى ان لهذا الجيل من الناس مقامه وخطره، وان له مقوماته وثقافته ، وان له مستقبله ووحدته .. ولذلك دافع عن اول صور هذه الوحدة في « الوحدة الثقافية » دفاعاً سيظل موطن الرضا من كل نفس، ومكان اليقين من كل عربي .. ومعنى يؤكدها ويؤيدها ، وينشرها ويحييها ، وينفي عنها هذه العاديات والاباطيل ... ويستلهم مؤيداته من المنطق والطبيعة ، ومن الواقع والعلم ، في ايمان تزول الراسيات ولا يزول .

وظهر هذا التقديس للنزعة العربية في كل صفحات التقرير : دفاعاً عن اللغة ورغبة في تنظيمها وتوسيعها ، واعتبار هذا التنظيم والتوسيع اساساً في وسائل توحيد الثقافة (٣٠٢) وتمجيداً للجامعة السورية انها كانت اسبق الجامعات الى شرف التدريس بها .. وحباً في غناها بترجمة نشرات دار الآثار اليها واعتمادها لغة النشر فيها .. واندفاعاً في حفظ حرمتها ورعاية مكانتها حين نعى على نظم الامتحانات مساواتها لها بالفرنسية، وعدم وجود حد ادنى للفوز فيها .

وقد كان هذا الحب للعربية، وهذا التمجيد لها، تمجيداً خيراً ، وحباً نيراً ، لا تخالطه ظلمات العصبية ولا ضلالاتها . لم يكن حباً اعمى ولكنه كان حباً بصيراً فهو مثلا لا يتخذ من مبدأ التعليم بالعربية سداً بينه وبين الثقافة فيكتفي بها ، وانما يحرص على ان تقترن دراسات الطلبة في الجامعة بمطالعات متصلة في اللغات الاجنبية ، تدفعهم الى خدمة لغتهم والنقل اليها .

ولم تكن الامة العربية في حاضرها، واللغة العربية في وضعها ، وحدهما مكان تقديره . بل كانت هذه الآثار العربية كذلك مما يتصل بعنايته ودراسته ، فلاحظ فقر متحف دمشق وقلة مجموعاته منها ، واقترح القيام بالتنقيبات الاثرية في مواضع تاريخية تعود الى العهدين العربي والاسلامي (١٥٨ ـ ١٥٩)

ليس هذا فحسب ، بل ان النزعة العربية لتبدو اشد ما يكون وضوحاً في حديثه الممتع عن انظمة التعليم ٠٠ هذه التي لا يريدها افرنسية او امريكية او انكليزية ٠٠ وانما يريدها عربية عراقية في العراق ، وعربية سورية في الشام ٠ عربية قبل كل شيء ، بعيدة عن كل نزعة اقليمية او نزعة اجنبية ٠

وما يكون لنا ان نحصي كل هذه المظاهر في تقديس العربية في التقارير ٠ فهي ليست وقفاً على هـذه النواحي المعنوية بل تتعداها الى المظاهر الشكلية في وحدة التسميات والاصطلاحات ، والى النواحي الادارية في حساب خدمات المعلمين التي انفقوها في البلاد العربية من سني الخدمة ٠٠ والى اشياء كثيرة حسبنا هذا منها ٠

وكذلك كان هذا الرجل في التقرير ٠٠ ومـا يسع هذه الشيخوخة التي فنيت في الحيـاة العربية العلمية والعملية ، الا ان تكون كذلك : فناء في مجد العرب ، وتاريخهم ولغتهم وثقافتهم ٠

وهذه التقارير تتكشف كذلك عن نزعة حرة ، تنفر من الاحتكار ، وتهرب من التقليد ٠٠ هي تنفر في العراق من ان يحتكر الاميركيون ثقافة العراق ، وتنفر في الشام من ان يحتكر الفرنسيون ثقافة الشام ، على ما رأيت من الامثلة الكثيرة التي مرت بنا في التقرير ٠٠ وهي تهرب من التقليد : تقليد النظـام الفرنسي في امر المعيدين (١٠٦) وتقليده في عدد سني الدراسة الثانوية ومناهجه ، وتقليده في اسماء الصفوف ، هذا التقليد الذي يبدو اشد ما يكون افتضاحاً ٠٠ وما يكون للانظمة والنزعات ان ترضى هذا الاحتكار او تتقبل هـذا التقليد ٠٠ وهي لذلك تجهد في سبيل الافلات منه ، والابتعاد عنه ٠

لا الرجل العربي ، ولا الرجل الحر ، ولا الرجل المؤمن بقضايا التعليم والمعلمين كل ما تتكشف عنه التقارير ٠٠ فهناك هذا الرجل المنصف الذي لا تطغى عليه نزعته او مهنته يبدو في التقارير مرة بعد مرة ٠٠ يبدو حين يدعو الى المطالعة في اللغـات الاجنبية ، وحين يشيد بجهود مصلحة الاثار ايام كانت في ادارة المفوضية ، وحين يحاوب الثقافة الفرنسية مؤمناً ببعض مزاياها ٠٠ وفي مواقف كثيرة اخرى تدل على اخص خصائص العالم في انصافه واعترافه ٠

وبعد فأنا اخشى ان يظن قارىء من القراء ان هذه التقارير لاصلاح المعارف في سورية ، واخشى كذلك ان يصدق هذا العنوان الذي طبع فوقها ٠ فهذه التقارير تعالج في الحق بعض المشكلات الخاصة بسورية ٠٠ ولكنها في كثير من المشكلات الاخرى ترسم المبادىء العامة والخطوط الكبرى لوزارات المعارف في البلاد العربية كلها وهي حتى في هذه المشكلات الخاصة لا تخلو من فائدة عميقة وخير كثير ٠

ان تقارير الحصري عن سورية هي تقارير يستطيـع رجال المعارف في البلاد العربية كلها ان يجعلوها دعامتهم الاولى ٠٠ وهي ان لم تتطابق معها في بعض النواحي الانشائية التي تقترحها ، فما اشد ما تفيد في ان تحمي هذه البلاد من ان تقع فيما وقعنا فيه من نزوات ودعوات واغراض ٠٠ انهـا علاج سلبي يقوم على الوقاية مرة ، وعلاج ايجابي يقوم على التطبيب والتداوي مرة اخرى ٠

واذا كانت مصر تفاخر بتقرير الهـلالي باشا عن بعض مشكلاتها ٠٠ هذه التقـارير التي لا تمثل حالات خاصة واوضاعاً معينة ، وانما تستتر وراء كل حالة خاصة مبدأ عاماً ، ووراء كل وضع معين خطة شاملة ٠

وانا اخشى ايضاً ان يقف شاب غداً فيقرأ عنوان هذه التقارير ، ويظن انها من اجل اوضاع المعارف الادارية فينصرف عنها ٠٠ وما ادري لم احب ان لا اتمهل القول بان هـذه التقارير تتحدث عن مشكلة المعرفة في سورية وفي البلاد العربية الاخرى ٠٠ وانهـا لا تؤرخ لها فنفيد منها التاريخ ٠٠ ولا تعالجها فنفيد منها العلاج ٠٠ وانما هي فوق ذلك – بهذا الفكر العبقري الذي عليها ، والذهن المشرق الذي يلقيها – تدعو هذا الجيل الذي يقرؤها ان يفكر ٠٠ ثم تعلمه كيف يفكر في سبيل صحيح لا عوج فيه ، وكيف يناقش المعضلة المعقدة في طريق نير لا التواء معه ٠٠

وبعد فهذه التقارير اليوم بين يدي الحكومة السورية تهم ان تعمل بها ، وان تمضي في السبل التي اقترحتها ٠٠ وانا لنرجو مخلصين ان تجد ارضاً خصبة ، لا يستنبت فيها المستنبتون الشوك ، ولا يزرع فيها الزارعون العراقيل ، ولا يطوقونها بالماء العكر يصطادون به ٠٠ وانا لنأمل ان تمضي هذه العبقرية تحقق ما ارتأته في ميدان الادارة ، وفي دنيا التعليم ، لا يعكر سماءها غيم ، ولا يخالط صفاءها ضباب ، ولا تتطاول الايدي بالاصباغ السود تحاول ان تطمس فيها اشراقها ونورها ٠٠ لانه حرام ان نجعل من هذه العبقرية المنظمة الخالقة قوة تدفع الاذى ، وترد الكيد ، مقصوداً كان او غير مقصود ٠

وانها الفرصة سانحة في تاريخ البلاد ٠٠ اجرؤ فأزعم انها لا تقل عن الفرص الاخرى التي يعلق عليها السياسيون الامال ٠٠ لان العمل الثقافي مصدر كل هذه الاعمال الاخرى ٠٠ وان وحدتنـا لتكاد تشققها هذه النظم التعليمية المبعثرة ٠٠ ان صح ان هناك

نظماً توصف .. فلنجهد في العمل السريع الحاسم ، وبعض الاصلاح الذي نستطيعه هذا العام خير من كل الشر الذي ننوء بثقله .

*

حين يفتح الجيل الجديد عينه غـداً على نور من المعرفة الحقة ومن الثقافة النيرة .. وحين يجد انه لم يحمل الاصر الذي حمله من قبله .. سيتلمس هؤلاء الذين حادوا به الى الطريق ، ومضوا به الى الجادة .. ولن يجد حينذاك غير هذا الرجل وهـذه التقارير وتلك الحكومة التي افسحت له السبيل .

دمشق — شكري فيصل
استاذ في تجهيز دمشق

١ _ تاريخ جرح

مجموعة قصص للاستاذ فؤاد الشائب – ١٨٢ صفحة
دار المكشوف – بيروت

لست اغالي اذا قلت ان هذه المجموعة التي تضم احدى عشرة قصة هي ارقى واميز ما صدر في سوريا من اقاصيص ، فان فيهـا صدق الايحاء وتركز الفكرة وانطلاق النفس القصصي بين المعنى والتصوير والاسلوب جميعاً . والصورة المميزة التي رسمتها في ذهني قراءة هذه الاقاصيص للشائب هو انه شاب يحاول ان «يصنع فنا» فيما يكتب ، وان بوسعه ان يصنع هذا الفن لانـه يملك معداته ويستعملها فيما هو بسبيله . وليس مايبغي الشائب اشاعة لذةفحسب او اثارة اعجاب ، وانما يقصد قصدا الى نبش فكرة ربما كانت نائمة او خلق فكرة بديعـة . وهو في كلا الحالين يدعو القاري الى انعام النظر وتركيز الذهن حول معنى لا بد له ان يتابعهحتى تنتهي القصة . وهذه في عرفي لذة مزدوجة يصيبها القاريء ، على الرغم من انني لا اعتقد بوجوب معالجة فكرة بعينها في كل قصة معـالجة تنتفي بانعدامها لذة هذه القصة .

والقصص التي تحوز من الاعجاب القسط الاوفر هي «الشرق شرق» و «ربيعيتضور» و« جنازة الآلة ». فكلها متينة الهيكل القصصي ، رائعة التحليل النفسي ، تدع في النفس من الايحاءات اكثر مما يمكنان تعطيهالفكرة او الصورة . اما الاولى فمنهافنظرية مفهومهـا ان الغربي ليس « ملاكاً » وان الشرقي ليس « رجلاً » وبقدر ما ينقص الاول في تلك الصفة ينقص الثاني في هذه وليس المجال الان لمناقشة الفكرة وتقويمها من الصحة ، بالرغم من ان فيها ما يدعو الى المناقشة بل الى التصويب ، ولكنها ترغمك في كل حال على استعادة تلك الفروق الاساسية في طبيعة التكوين والتفكير بين الشرقي والغربي : اولهما يعدوالحد في مثاليته او خياله ،وثانيهما يعدو الحد في واقعيته او ماديته ! . . . وخـاتمة القصة بعـد جد موفقه ، وتحليلها دقيق يلذ .

واما « ربيع يتضور » فلست لا شك بانها اجمل قصص المجموعة فهي رائعة التسلسل فكرة وتصويراً ولفظاً . وفيهـا من روعة التلميح والتغطية والتورية الشيء الكثير : وانت ازاء هذه الروعة حائر حيرة لذيذة : تود ان تكشف المورّى من الفكرة ثم تعدل! فان الروعة في استشعار هذا الغموض اللذيذ الذي يكفيك ان تفهمه الاعماق في الهامات العواطف والاحاسيس ! . .

وعنصر « المفاجأة » في هذه القصة قوامها .. وهي مفاجأة لا تدعو الى العجب ، بحيث انك حين تجابهها لا تروعك وانما تعجبك كأنك كنت تنتظرهـا .. وهي مع ذلك مفاجأة حلوة الوقع ! وعقدة القصة لا يمكن ان تكون عقدة اقوى منها وامتن .. وقوتها في جملة واحدة قصيرة .. فان ذلك الشاب المقبل حديثاً على الحياة صُوِّر تصويراً دقيقاً : لم يذكر الكاتب انه اخذ مالاً .. وكل ما يوضح انه اجتاز مرحلة جديدة ، خطرة ، في حياة الشباب ، هو انه عاد يومذاك في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ! .. وامـا الجملة التي بلغت غاية الروعة في ايحاء المعنى المقصود فهي قول الشاب معترفاً « نمت تلك الليلة كما لم انم منذ عشرين عاماً »: رغبة الشباب يتاح لها اخيراً ان توفّق الى جوها البعيد . المنتظر ! . .

وكل مـا تشعرني به هذه القصة هو ان الشائب قصّاص من الطراز الاول .

واما قصة « جنازة الآلة » فحلية ذات تصوير يبلغ غاية الجمال والامتداد الشعوري .. ومـا اشد الفرحة والرضى اللذين غمرا زوجة البطل صاحب « الطنبر ! » حين قدر « للقرية ان تنتصر بهذا الطنبر على « المدينة » بتلك الآلة التي ماتت ... والتي يدعونها الاوتوموبيل ... اي نخر ! .. وفي هذه القصة – بعد – تعبيرات ساذجة .. حتى لتكاد تكون تافهة .. ولكنها دقيقة .

والاحظ هنا ان الكاتب يجب دائمـاً ان يشبع الفكرة التي تخطر بباله – عبر كتابة القصة – بحثاً وتحليلاً . وهذا حسن وغير حسن في آن واحد : حسن بالنسبة لاستيفاء الفكرة قسطها من الدرس والتوسع ، وهنا اعجاب القاريء بقدرة المؤلف ، وغيرحسن بالنسبة لمجرى القصة ونظراً لنتيجتها ، وهذا مـا يضر بالكاتب كقصّاص اذ هو معرض للشرود والخروج عن حـدود التصوير

المطلوب . وقد وقع كاتبنا الشائب في هذا في قضية « الحرباءة » في « احلام يولاند » ، فما الذي يبرر اقحامها في القصة ومتابعة تخيلها وهي لا صلة لها بالخاتمة ولا تأثير على مجرى القصة وهيكلها ؟

اما الفكرة التي يرمي اليها المؤلف من قصته « احلام يولاند » فغريبة نوعاً : ان المرأة الغربية تأبى ان يغير لها احد رأيها في الشرق الساحر ... وحتى الشرقي اذا اتفق له ان يلقاها يكون غريباً في شرقها المسحور : أليس في القضية خيال وتهويل ومبالغة ؟ ان مادية الغرب لا بد ان تطغى ذات ساعة على الغربي مهما جذبته اضواء روحانية الشرق .. وان حنينه الى الشرق لن يكون — اذا جد الجد — الا شعوراً مصطنعاً .. فليست « يولاند » كما يصورها الشائب ، غربية .. وانما هي شرقية .. من صميم دمشق مثلاً . ومن بطلات الف ليلة وليلة !

وليست قصة « تاريخ جرح » باجمل القصص ، بل اعتقد انها دون كثير منها .. ولست ادري : لعل الشائب ترك في هذه القصة جوه القصصي الحديث الواقعي الممتلىء ملاحظة واحساساً وتصويرا لينغمر ساعة في جو « المنفلوطي » مثلا : بطولة خيالية ، وتهويلات في وصف الشعور .

واحب ان الاحظ هنا ان الشائب اكثر ابداعا في كتابة القصة العامة منه في القصة المحلية . وربما كان هذا الحكم صادرا عن تفضيلي الاولى على الثانية من حيث هما قصتان .

اما قصة « العانس » وهي من احدث ما كتب فيتخللها ابهام صارخ ، على عكس سائر القصص . ترى هل اصبح المؤلف في المدة الاخيرة يحب ما اسميه الابهام المطلق وما يسميه بعضهم الرمزية ؟

هذه ملاحظات عنت لي بعد قراءة تاريخ جرح .. واذا كانت لي كلمة اوجهها للاستاذ المؤلف فهي ان يخلع عن كتفيه ثوب الخمول ، اذا كان خاملا ، ويطلع علينا في اوقات متقاربة بما يخطه يراعه القصاص الفنان ، لا ان يستنيم الى الهدوء ، ظنا منه انه ادى ما تفرض عليه رسالة الادب ، فان على مثله واجبات كثيرة بعد ، لانه اديب موفق . فانا اعتقد ان واجبات الادب في سوريا ولبنان تكثر وتثقل على الادباء الحقيقيين بقدر ما تقل وتخف على الادباء المزيفين ! ....

٢ — في قصور الخلفاء

للاستاذ صلاح الدين المنجد — ١٣٢ صفحة
دار المكشوف — بيروت

فصول تاريخية عربية جرت في قصور الخلفاء في العصر العباسي كتبها الاستاذ صلاح الدين المنجد باسلوب جذاب رقراق كثير التلوين والتنويق . وهي فصول مشهورة فيها روعة الحادثة وجمال الوصف ومنتقى اللفظ والعبارة . وقد كتبها الاستاذ المنجد لمجرد ابتعاث اللذة ، وهو يعتقد ان غاية الادب انما هي في هذه اللذة .

ان التحليل النفسي الذي هو من مقومات القصة الحديثة ، بل اول مقوماتها ، فيكاد يخلو منه الكتاب ، ومع ذلك فالكتاب معجب باسلوبه ، مستهو ببدع حوادثه .

سهيل ادريس

شاعر دمشق

للاستاذ محمد ياسين الحموي — ١٠٦ صفحات — منشورات
دار اليقظة العربية بدمشق

كتاب — على انه مختصر — قيم ، وفق المؤلف فيه الى الاحاطة بموضوعه في كثير من السهولة وفي كثير من الوضوح ولا سيما وان موضوعه هو التعريف بابن عنين الشاعر الكبير في العصر الايوبي الذي كان خطيراً بادبه وخطيراً بطبيعة العصر الذي عاش فيه والذي كان لوحة صادقة عنه .

وان قيمة هذا الكتاب نلمسها اكثر بروزاً حينما نعرف ان القارىء العربي يتصل بادب ابن عنين مرة اخرى بعد ان اتصل به من قبل في مختارات محمود سامي باشا البارودي . وقد اشار المؤلف ان الديوان نسختين مخطوطتين احداهما في مكتبة القاهرة والثانية في الظاهرية بدمشق رقم (٩٢ — عام) وفي دار الكتب الوطنية بباريس شيء من ديوانه تحت رقم (٦٠٣٤ عربي) ص ٤٣ .

قصر الجماجم

للاستاذ خير الدين الايوبي — ١٥٦ صفحة — منشورات
دار اليقظة العربية بدمشق

هي طائفة قصص من النوع الذي يسوغ لنا تسميته بخيالات العجائز ولكنها مع ذلك حلوة فهي ترد مطالعها رداً عنيفاً الى حفنة من ذكريات الطفولة الغاربة يوم كان فم الجدة العجوز يتحرك بهذه الاقاصيص تربت لهم بها وتستهوي داعية السبات . والقاص المؤلف اشار في كلمة التمهيد الى انها قصص عامية ولكن الذي ساءنا انها عامية الاسلوب كما كانت عامية الخيال .

مركب الفكر

للاستاذ عبد الرحمن ابو قوس – ٤٠ صفحة – المطبعة العصرية – حلب

هو حوار شعري وبتعبير ناظمه الشاعر نشيد غنى به صفاء الحقيقة المجردة في مركب الفكر التائه وفي الحق انه حوار ماتع شيق ينشر عليك اذ تقرأه جواً ناعماً محملاً فيه رغبات واحلام وفيه شرود حلو ووحشات ظامئة وزاد بجماله ما اجتمع له من اداء شعري نقي وتركيب اسلوبي مصقول والحوار بعد ذلك نجوى بين الشاعر الذي يحلم وبين مركب الفكر المنطلق في الاعصار وهي نجوى تتجاوب الصدى والصياح تجاوباً ايقظ بايقاعه الهوى البكر والحوار بعد ان يطوف في دنياوات شتى ينتهي بهذا المقطع الرائع :

مركب الفكر وداعاً لم يعد	بي وجد للرحيق القرقف
هدم الصبح خيالي فلأكن	فوق ثدي الارض ثغر المشتفي
انما الشاعر دنيا وحده	يصطفي من سرها ما يصطفي
فاجر يامركب فكري آمنت	نفسي الظمأى بما لم تعرف

وكم كنا نتمنى لو خلا من بعض الهنات اللغوية من مثل (التق) بمعنى لقي ولا سيما والشاعر موهوب يبشر بالكثير .

نظام الحكم في روسيا السوفياتية

نقله الى العربية الاستاذ وصفي البني – ١٠٠ صفحة – منشورات جمعية اصدقاء الاتحاد السوفياتي

كتاب اصدرته « دائرة المطبوعات الحكومية باللغات الاجنبية » في موسكو من تأليف الاستاذ كارنيسكي . وقد شاءت جمعية اصدقاء الاتحاد السوفياتي في سوريا ولبنان ان تقدم لقراء العربية معلومات مستقاة من المصدر الرئيسي عن نظم الحكم وعمل كل هيئة وهيئة ، من ناحية ، وبينها جميعها وبين مواطني الاتحاد السوفياتي من ناحية اخرى . ونظرة واحدة على عناوين الموضوعات التي تناولها الكتاب تدل على قيمته واهميته . فقد تحدث عن : الاتحاد الاختياري للشعوب السوفياتية ، كيف تتشكل هيئات سلطة الدولة ، هيئات الدولة العليا للسلطة والادارة في الاتحاد السوفياتي ، الهيئات العليا لسلطة الدولة وادارة الدولة في الجمهوريات السوفياتية ، الحقوق والواجبات لمواطني الاتحاد السوفياتي .

حضارة وادي الفرات القديمة

للاستاذ عبد القادر عياش – ٣٦ صفحة – مطبعة الفرات بدير الزور

محاضرة القيت في قصر البيت الثقافي بدير الزور ثم نشرت في رسالة صغيرة الحجم . تناول فيها كاتبها تاريخ حضارة وادي الفرات القديمة التي قامت على الري ، ويقترح آراء لتشييد مستقبل جديد لوادي الفرات ، هذا المستقبل الذي يتوقف على تنظيم الري

العدو الذي نكافحه

ترجمة الاستاذ مصطفى منيب – ٥٢ صفحة – مطبعة النيل

للكاتب الانكليزي – الهندي الكبير بالم دات مؤلفات سياسية كثيرة منها « الفاشية والثورة الاجتماعية » و« السياسات الدولية » . وقد اصدر اخيراً كتاباً عن « بريطانيا في الجبهة العالمية » فاختار الاستاذ مصطفى منيب من هذا الكتاب اربعة فصول وعربها وقدمها الى المثقفين العرب تحت عنوان « العدو الذي نكافحه » ، وتبحث هذه الفصول في ماهية هتلر ، ونظام الفاشية ، وفلسفة الفاشية ، ونظام النازية الجديد في اوربا .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

لندن ١ ايلول – يقول البلاغ الالماني ان القوات الالمانية اجبرت على اخلاء مدينة روان بعد تدميرها المرفأ من جراء هجمات الحلفاء الاخيرة.

لندن – استولى الروس على مرفأ كونستنسا الذي كان لاكثر من ثلاث سنوات خلت المرفأ الالماني الرئيسي لاستيراد النفط على البحر الاسود .

لندن – دخلت الجيوش الروسية بخارست بعد ان انزلت بالقوات الالمانية المحتشدة في بلويشتي وجنوبها هزيمة ساحقة. وبوخارست هي اول عاصمة يحررها الروس في البلقان .

لندن – رقي الجنرال مونتغمري الى رتبة فيلد مارشال .

لندن – حررت القوات الاميركية قلعة فردون وسهولها التاريخية التي شهدت ابان المعارك اشدها هولا .

لندن ٢ – حرر البريطانيون في فرنسا مدينة اراس التي تبعد ٤٣ كيلو متراً عن الحدود الالمانية كما استولى الكندبون على دييب .

لندن ٤ – بدأت القوات الحليفة بتحرير بلجيكا ، فاستولت وحدات الجيش الاميركي الثالث على نامور . واستولت قوات اميركية اخرى على مون الواقعة على ٦٨ كيلو متراً عن بروكسل . وحررت القوات الحليفة لاتوكاي وبولوني في فرنسا .

لندن – دخلت القوات الاميركية والفرنسية في جنوب فرنسا مدينة ليون .

لندن ٥ – اعلن رئيس وزارة لوكسمبرغ من الراديو ان الحلفاء دخلوا لوكسمبرغ .

لندن – احتلت القوات الروسية والرومانية المتقدمة عبر جبال الالب الترانسلفانية مدينة براسوف الكبيرة التي تتشعب منها اربعة خطوط حديدية وهي مفتاح طريق المواصلات مع هنغاريا .

لندن ٦ – احتلت الجيوش البريطانية مدينة بروكسل عاصمة بلجكا.

موسكو – قطع الاتحاد السوفياتي علاقاته الديبلوماسية مع بلغاريا واصبحت الحرب قائمة بين البلدين .

صوفيا – اجتمع مجلس الوزراء البلغاري بعد اعلان روسيا الحرب على بلغاريا وقرر ان يرسل فوراً طلباً بالهدنة الى الاتحاد السوفياتي .

كويبك ١٠ – وصل الرئيس روزفلت ورئيس الوزارة البريطانية تشرشل الى كويبك لاجراء سلسلة مفاوضات ، وبعد قليل وصل اوتاوا ماكنزي كينغ رئيس وزارة كندا .

لندن ١٢ – اعلنت قيادة الحلفاء العليا في ساعة متأخرة من الليلة الماضية ان القوات الاميركية التابعة للجيش الاول تقاتل اليوم لاول مرة في التاريخ على الاراضي الالمانية .

لندن – استسلم الجنرال الالماني قائد حامية برست .

موسكو ١٣ – افضت المفاوضات بين الاتحاد السوفياتي وبريطانيا والولايات المتحدة من جهة ورومانيا من جهة اخرى الى توقيع الهدنة .

لندن – سقط ميناء الهافر بيد القوات الحليفة في فرنسا . واحتلت قوات المشاة الكندية مدينة بروج على ساحل بحر المانش في بلجيكا .

لندن ١٤ – دخلت الجيوش الروسية الاراضي اليونانية وعبرت الاراضي اليوغوسلافية واتصلت مع جيوش المارشال تيتو قرب الحدود المجرية .

موسكو – بلغت القوات الروسية الحدود التشيكوسلوفاكية . واحتلت مدينة لونفا على نهر نارو .

انقره – عين السيد حسن السقا وزيراً جديداً للخارجية التركية عوضاً عن منمنجي اوغلو الذي استقال منذ عدة اشهر وكان يتولى الوزارة سراج اوغلو بالوكالة .

لندن – خرقت القوات الاميركية خط سيغفريد في عدة نقاط .

شونغ كنغ ١٦ – استرجعت القوات الصينية تنغشون المعقل الياباني الرئيسي على جبهة نهر سالوين . وهو يقع قرب الحدود البرمية وكان في قبضة اليابانيين منذ اكثر من سنتين .

لندن ١٨ – انزلت طائرات الحلفاء جيشاً جديداً من الاميركيين والانكليز والبولونيين في هولندا .

لندن – اعلن الوطنيون في الدانمرك اضراباً عاماً عن العمل في كل البلاد .

هلسنكي ٢١ – نشرت الصحف الفنلندية شروط الصلح بين فنلندا وروسيا السوفياتية . وفيها شرط تتنازل فيه فنلندا عن منطقة بتسامو ومنطقة لابونيا .

بيروت ٢٢ – اعترفت حكومة الولايات المتحدة باستقلال سوريا ولبنان ، ورفعت معتمدها في بيروت الى رتبة وزير مفوض .

لندن – استولت القوات اليونانية التابعة للجيش الثامن في ايطاليا على ريميني التي تعتبر بمثابة مفتاح سهول لومبارديا ومدن ايطاليا الصناعية الشمالية وممر برنر.

لندن – اغارت الطائرات الاميركية العاملة من احدى حاملات الطائرات على مانيلا عاصمة الفيلبين .

لندن ٢٣ – استولت القوات الاميركية على شتولبورغ المعقل الالماني في خط سيغفريد والواقع على مسافة خمسة اميال شرقي آخن .

الاسكندرية ٢٦ – عقدت الجلسة الاولى من الاجتماع التمهيدي لمؤتمر الوحدة العربية في قصر انطونيادس .

لندن – استولت القوات الروسية في استونيا على مرفأ هيسلو وهو ثالث مرفأ من نوعه تستولي عليه القوات الروسية في استونيا .

لندن ٢٧ – لم ترد انباء عن القوات البريطانية الجوية التي تقاتل في ارنهايم في هولندا . وقد مضى على نضالها عشرة ايام .

لندن – نزلت في البانيا وجزر يوغوسلافيا وحدات جديدة اطلق عليها « وحدات الادرياتيك البرية » .

لندن – اذيع بيان مشترك في لندن وواشنطن ووقع عليه من تشرشل وروزفلت يقول ان ايطاليا ستنال حظاً اوفى من الحكم الذاتي ، وسيطلب اليها تعيين ممثلين مباشرين في لندن وواشنطن .

لندن ٢٨ – ادلى المستر تشرشل ببيان في مجلس العموم البريطاني صرح فيه ان الحرب قد لا تنتهي هذا العام .

لندن – انسحبت الفرقة البريطانية الجوية الاولى من منطقة ارنهايم بهولندا بعد ان حوصرت تسعة ايام .